الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة سعيدة– الدكتور. مولاي الطاهر

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي موسومة ب:

معالم الشخصية في رواية كولونيل الزبربر للحبيب السائح

التخصص: نقد عربي قديم

من إعداد الطالبتين:

بلخيرة أحلام

شادلي مريم

إشراف الأستاذ:

د. مرسلي عبد السلام لجامعة دكتور مولاي الطاهر سعيدة

أعضاء لجنة المناقشة		
أ. زروقي معمر	. جامعة سعيدة- د. مولاي الطاهر	**رئيسا**
د. دحماني شيخ	"جامعة سعيدة- د. مولاي الطاهر".	**مناقشا**

السنة الجامعية 1441 هـ / 1442 هـ *** 2022 م / 2223 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

إن أحق من يشكر وأولى من يحمد ربنا المتعالي المجيد المتفضل بالنعم والمزيد جل جلاله وتعاظم سلطانه.

وخالص الشكر وأوفاه، موصول إلى أستاذنا الفاضل **الدكتور مرسلي عبد السلام** الذي أحاطنا بتوجيهاته السديدة، وملاحظاته المفيدة في جميع مراحل أطوار إنجاز هذا العمل.

كما نشكر كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها، ممن تشرف بالعمل في هذا المجال، وعلى مجهوداتهم المبذولة في سبيل السير قُدُمًا بهذا القسم.

والشكر موصول إلى كل الأساتذة الذين سيناقشون هذه المذكرة، ويفيدوننا بتصحيحاتهم القيمة.

ولا ننسى كل من أعان على إتمام هذا العمل، فله منا كل الشكر والتقدير، ونخص بالذكر الأخ الوفي حسين فلا نملك شكرا له إلا رفع أكف الضراعة والدعاء.

إهداء

إلى من سهرا عليَّ باذلين لي كل ما يملكان في سبيل بلوغي المراد،

فاستحقا مني كل الود وخالصه، وأسمى الشكر حتى يبلغ منتهاه، أدام الله عليّ ظلهما، وأبقى فِيَّ عبق عطرهما، والداي ﴿**أمي الغالية نصيرة**﴾ و ﴿**أبي العطوف ابراهيم**﴾.

إلى شموع البيت وقناديله، وبهجته وسروره، أخوايا الغاليين من تفننا في زرع الابتسامة على سنحة وجهي، أعني بهما رفيقة دربي العزيزة وحبيبة فؤادي المقربة ﴿**أختي إيمان**﴾ وفقها الله في مشوارها الدراسي وأعز الموجود الغالي المحبب إلينا وإلى الجميع ﴿**أخي الفاضل محمد أمين**﴾. أعانه الله على ما فيه ووفقه لبلوغ مراضيه

ولا أنسى كل فرد من أفراد عائلتيْ بلخيرة وشريفي فردا فردا وأخص بالذكر العم يحي من وارى التراب جسده وغيب محياه الطيب عنا أصبغ الله عليه سحائب رحمته ووابل مغفرته وأدخله الفردوس الأعلى من الجنة

إلى من نصح وسدد، وقوّم وأرشد، فكان نعم العون على إتمام هذا العمل، أستاذي ﴿**الدكتور مرسلي عبد السلام**﴾ أنعم به وأكرم.

إلى من أحبه الفؤاد فاستوطن القلب وملكه فأخذ بزمامه إلى كل مرغوب وقاده إلى كل مشتهى أخص بالذكر ابنة الخالة ﴿**بختي شيماء**﴾ و ﴿**بلخيرة إكرام**﴾ و ﴿**سكوم نجاة**﴾ و ﴿**نبهي فطيمة**﴾ و﴿**بختاوي فتيحة**﴾.

كما أشكر كل من جمعني به المشوار الدراسي، خاصة زميلتي في هذا العمل **شاذلي مريم**.

أهدي هذا العمل المتواضع مع إيقاني أني مزجى العبارة، قليل العلم بالصناعة، راجية من الله سداد الرمي ونبل الأهداف.

بلخيرة أحلام

إهداء

إلى الذي علمني الكفاح ووفر لي سبل النجاح من أحمل اسمه بكل افتخار الغالي أبي

إلى التي علمتني الصبر والوفاء بلسم روحي وسر نجاحي أمي الحبيبة

إلى جدتي وروحي الغالية **معطى خيرة** المتوفية رحمها الله وأدخلها فسيح جناته

إلى خالاتي الغاليات الحبيبات الثمينات وبنات خالاتي وأخواتي **خيرور ووفاء وهناء**

إلى أبناء خالتي الأعزاء

إلى إخوتي بغداد والعربي إلى زوجة أخي عايدة

إلى عائلتي الكريمة بأكملها من صغيرها إلى كبيرها

إلى أعز الصديقات والأخوات الوفيات الذين لا يبخلن عليَّ **حليمة وخيرة وأحلام وصارة**

إلى أستاذي الفاضل **مرسلي عبد السلام**

إلى كل من كان سندا وعونا أهدي ثمرة جهدي المتواضع

شاذلي مريم

مقدمة

مقدمة

الرواية هي من الأجناس الأدبية الأكثر قراءة وتلقيا من قبل الجمهور، خاصة في عصرنا الراهن فبعدما كان الشعر هو ديوان العرب بل وكل الشعوب، لأنه بمثابة المرآة العاكسة لواقع المجتمعات فبها ينقل الكاتب على لسان السارد بواسطة الشخصيات كل ما يدور في المجتمع، من أحداث سياسية واجتماعية وثقافية، وهي من أبرز التعبيرات الفنية التي توحي بالشخصية القومية.

ومن تأمل وجد أن الأدب الجزائري الحديث يمر بمرحلة ازدهار للرواية مما جعلها الممارسة الأكثر حضورا في السياق الثقافي بالجزائر، واستطاعت رغم حداثتها أن تحقق تراكما نصيا لا يستهان به بلغت به مرحلة النضج والتنوع والثراء، من خلال التحولات الشكلية والأسلوبية والقوالب الفنية وتجريب عدة تقنيات لإثراء البنيات الروائية، لتسجل حضورا مميزا وجديرا على خارطة السرد الروائي العربي المعاصر.

فعبر ضمير الحياة الأدبية نقلت إلينا رسالة الأدب ذخيرة ضخمة من مظاهر التعبير عن روح الإنسان في صراعه من أجل تجسيد ذاته كفن الرواية ،حيث تتخذ الرواية لنفسها أوجها وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل ومن هنا تتعدد القراءات و التأويلات، فمنذ أن أعلن رولان بايت عن موت المؤلف أصبح النص مفتوحا على تأويلات متعددة ومختلفة باختلاف مرجعيات القراء و المؤلفين ،ورواية كولونيل الزبربر للحبيب السايح هي إحدى الروايات التي تجسد الإنسان الجزائري بكل مظاهره ،ولهذا وقع الاختيار عليها كموضع للدراسة في هذا الإطار نشأ لدينا إشكال ألا وهو ،كيف استطاع الكاتب تحديد أبعاد الشخصيات التي وظفها في روايته هاته؟

وللإجابة على هذا الإشكال كان لابد من قراءة متأنية للرواية ودراسة بعض المفاهيم حتى تتضح الصورة، وعلى هذا الأساس انبثقت لدينا إشكاليات تحت التساؤل السالف الذكر وتمثلت فيما يلي:

مقدمة

- ماهية الشخصية؟
- إلى كم قسم تقسم الشخصية؟
- هل يتفق النقاد على اعتبار الشخصية أمرا مهما في الرواية؟

وللإجابة عن كل تلك الإشكالات استلزم هذا الأمر وضع خطة بحث تمثلت في الآتي :

الفصل الأول: معالم لشخصية النظرية والمنهج

تعريف الشخصية

1. لغة
2. اصطلاحا

أنواع الشخصية

1. الشخصية الرئيسية
2. الشخصية الثانوية

أبعاد الشخصية

1. البعد الفيزيولوجي المادي أو العضوي
2. البعد الفكري
3. البعد الاجتماعي
4. البعد النفسي

أهمية الشخصية

الفصل الثاني: معالم الشخصية في رواية كولونيل الزبربر

الشخصيات الرئيسية وأبعادها

1. شخصية الطاوس

البعد الاجتماعي

البعد النفسي

البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي

البعد الفكري

2. شخصية الكولونيل زبربر

البعد الاجتماعي

البعد النفسي

البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي

البعد الفكري

3. شخصية مولاي الحضري

البعد الاجتماعي

البعد النفسي

البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي

البعد الفكري

الشخصيات الثانوية وأبعادها

1) شخصية باية

البعد الاجتماعي

البعد النفسي

البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي

البعد الفكري

2) شخصية ياسين

البعد الاجتماعي

البعد النفسي

البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي

البعد الفكري

3) شخصية حكيم

البعد الاجتماعي

البعد النفسي

البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي

البعد الفكري

4) شخصية العمة ملوكة

البعد الاجتماعي

البعد النفسي

البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي

البعد الفكري

5) شخصية رقية

البعد الاجتماعي

البعد النفسي

البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي

البعد الفكري

6) شخصية سي المهاجي

البعد الاجتماعي

البعد النفسي

البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي

البعد الفكري

الخاتمة

الملاحق

1. ترجمة موجزة للكاتب
2. ملخص لرواية كولونيل الزبربر
3. ملاحظات على بعض الأفكار الواردة في الرواية وبعض الصيغ

الفهارس

1) فهرس المصادر والمراجع
2) فهرس الموضوعات

ولم نكن نخطو خطوة في هذا البحث إلا واستوقفتنا عوائق، أولها الحصول على نسخة ورقية مطبوعة من الرواية المطلوب العمل عليها وبعد جهد كبير استطعنا الحصول على نسخة من الرواية المراد العمل عليها، وما إن ذللنا هاته العقبة حتى جاءت أختها على إثرها وتمثلت في جمع المعلومات وتنقيحها وتهذيبها واختيار أحسنها وترتيبها بما يوافق مذكرتنا شكلا ومضمونا، فالحمد لله الذي أعاننا على إتمام هذا العمل والشكر للأستاذ المشرف على خالص توجيهاته وسديد آراءه وقد اعتمدنا على منهج الاستقراء و النقد فكنا نحدد النصوص التي كنا نستخرجها من الرواية ونصنفها وننتقد كاتبها

مدخل

الرواية من الظهور إلى النضج

مدخل

الرواية ذلك الفن الذي يستطيع بواسطته الكاتب بث مكنون فؤاده، وما يخالج صدره فيُنفس عن همه ،ويزيح شيئا مما تراكم على كاهله من مآسي الدهر أو فرح الساعات، إذ به يسوغ مجموعة الأحداث، مستخدما في ذلك قدرا لا بأس به من الخيال، فيمزج بين قطرة الحقيقة في قالب من الحروف والكلمات، والرواية جنس أدبي منثور يمكننا تعريفه بأنه **سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال و المشاهد ،والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى ،نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية وما صاحبها من تحرر الفرد من ربقة التبعات الشخصية** [1] فبهذه الكلمات لخص لنا فتحي إبراهيم بدايات الرواية ومنشأها .

فيتلاعب الكاتب بواسطتها بشخصياته، فيحركها على ما تقتضيه رغبته أو ما تفرضه تجربته، فيفسح لها المجال بالحديث، ويركب بها مشاعر وخواطر وأحاسيس وعواطف، مشكلا بذلك الحبكة والعقدة، ثم لا يلبث أن يفكها بما يرسمه لها من شعاع النور في آخر النفق، ولو دققت جدا لوجدته يحكي عن نفسه ويرسم طريقا لها، لكن اقتضت الحكمة أن يجعل مثل هذا الساتر ليتكلم من خلفه، ويقرر من خلاله ما يريد.

فهي بهذا النمط إعادة تشكيل للحياة، أو بعبارة أدق هي إعادة نسج ما وقع تحت عنوان ما كان يجب أن يقع، بواسطة الشخصيات وفي فلك الأحداث، وبهذا تنتقل الخبرات بصورة غير التلقين المباشر بل بالإشارة المعبرة.

وينبغي الإشارة إلى أن الرواية ظهرت لأول مرةٍ في أوروبا، وعليه فإن الرواية في الأدب العربي منقولةً عن الأدب الغربي الأوروبي، ولا يعني هذا أن الرواية في الأدب العربي، محض تقليد ،و هناك من يقول أن الرواية لها جذور و أصول في الأدب العربي الذي عرف الفن ممثلا في بعض ما جاء مبثوثا في كتب الجاحظ وابن المقفع و مقامات بديع الزمان الهمذاني و الحريري، وقد سئل الأديب الجزائري طاهر وطار عن واقع

---

[1] فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، الجمهورية التونسية، ص 176

مدخل

الرواية العربية فرد: **و الرواية بالأصل فن– لا نقول دخيل على اللغة العربية وإنما فن جديد في الأدب العربي اكتشفه العرب فتبنوه مثلما اكتشفوا في بدء نهضتهم المنطق فتبنوه و الفلسفة فتبنوها** .[1] فبهذا الطرح نجد أن الطاهر وطار يتبنى فكرة أن الرواية العربية متبناة من الرواية الغربية ومكتسبة منها ،وإن كان لكل موقع خصائصه ولكل قوم مقوماتهم التي تأثر في الأدب بشكل عام و الرواية بشكل خاص وتتأثر به .

لكنها نشأت في الغرب مع نمو الطبقة الوسطى، وقد أشار بهذا الموضوع أكثر الأدباء في كتبهم، وكان النظام الإقطاعي الذي يسيطر على المجتمع الأوروبي قبل عصر النهضة، يرسم الخطوط الأولية للفنون الأدبية آنذاك وإنّ هدف هؤلاء الإقطاعيين، ينحصر أولاً وقبل كل شيء في الاحتفاظ بأرضهم وتوريثها لأولادهم بعد وفاتهم، فقد كان لصالحهم تجميد الأوضاع الاجتماعية وتثبيتها وكان من الطبيعي أن لا يهتموا بالتجربة العلميّة وانتشار التعليم[2] .

فتأثر الأدباء العرب بعد امتزاجهم بالدول الغربية، فظهر أثر هذا في كتاباتهم وأدبهم بشكل عام وفي القصص والرواية بشكل خاص، وكان رائدهم هو رفاعة الطهطاوي الذي صدر روايته باسم تلخيص الإبريز، وبعده فرح أنطون والمويلحي وحافظ إبراهيم والذين كانوا الأولين في كتابة هذا الفن.

ثم تلاهم جيل آخر تمثل في كل من طه حسين وجرجي زيدان ومحمود تيمور و«توفيق الحكيم» و«محمد حسين هيكل» و«نجيب محفوظ» وبعدهم عبدالرّحمن الشّرقاوي وصالح مرسي فهذه الكوكبة من الأدباء العرب كانوا من أبرز من سطع نجمه في هذا الباب فقد حازوا قصب السبق في هذا الميدان، وكانوا أسوة لغيرهم وقدوة لبني جيلهم، فساهموا بذلك في تنمية الوعي وإنضاجه.

---

[1] مفقودة صالح، نشأة الرواية العربية في الجزائر التأسيس والتأصيل، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ص 14

[2] د أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، ص194

مدخل

ولم يكن هذا الفن من التعبير الأدبي بمنأى عن السياسة، ولم يسلم من سيف الساسة فدُجن عن قصد، حتى لجأ بعض الكتاب إلى الإيماء بدل التصريح أو الهرب إلى الخارج للكتابة بكل أريحية، فما فائدة نصف فكرة أو نصف قناعة إنها لن تنتج لنا سوى خيال أدبيٍ يحسبه الضمآن ماء حتى إذا أتاه لم يجده شيئا ،فظهر بسبب هذا ما اصطلح عليه برواية التّسلية والتّرفيه التي تخاطب الجماهير، لإرضاء ميولهم وأذواقهم لأنّ سياسة المحتلين منذ عصر إسماعيل **تتجه إلى مقاومة التعليم عموماً والتعليم العالي بصفة خاصة، وذلك لخلق نموذج من القراء لا يتمتع باستقلال الشخصيّة ولا القدرة على التفكير الحر المستقل، ... وقد ساعدت هذه السياسة على إيجاد طائفة كبيرة من المصريين، يستطيعون القراءة والكتابة ولكنّهم لا يتمتعون بقدر مناسب من الوعي، يدفعهم إلى التنبه للمشاكل الحقيقيّة ... ووظيفة القراء عند هذه الفئة مقتصرة على تحقيق حاجتها إلى التسلية و إلى نسيان هموم وآلامه.**[1] فلم يكن من مصلحتهم وجود طبقة تشاركهم في نفس نسبة الوعي، وتشاركهم فيما هم مشتغلون به ،ولأنهم لم يستطيعوا محو الفكرة من الأساس عمدوا إلى تشويهها ظاهرا وباطنا ،والتاريخ يعيد نفسه في كل مرة ومع كل جيل .

ولم تكتف هاته النخبة بهذا بل ذهبت إلى أبعد مما هو حاصل **ففي الوقت نفسه أخمدت أنفاس الصحافة بسبب أقل شبهة في معاداة الإنجليز أو الخديوي، فمنعت العروة الوثقى من دخول مصر وكان يصدرها في باريس جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وقت إبعاده عن البلاد بعد الثورة العرابية، كذلك ألغيت صحيفة الوطن وصحيفة مرآة الشرق وصحيفة الزمان وعطلت الأهرام بعض**

[1] د أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، ص113

مدخل

الوقت[1] لم يكن إخماد الصحف إطفاء لجمرتها بذاتها، إنه كتم للأنفاس وإطباق على الصدور .

وإن لاحت بوادر بعض الانفتاح فما هي إلا ذر للرماد في العيون ،كما أبدى ذلك أحمد هيكل فقال **وحقيقة قد أباح الاحتلال بعد فترة إنشاء بعض الصحف كما سمح بقيام بعض الأحزاب، ولكن كان أساسا لتأجيج الخصومات وتفريق شمل الأمة، وحقيقة قد قام الاحتلال ببعض ألوان من إصلاح الري وإقامة بعض السدود والقناطر ولكن كان بقصد زيادة محصول القطن الذي كانت تحتكره المصانع الإنجليزية، على أن هذا كله لم يخلف رخاء اقتصاديا ولم يرفع مستوى الشعب وإنما زاد ثراء طائفة كبار الملاك وضاعف من تحكمهم في الطبقة الكادحة** [2] فقاصر النظر يستبشر بكل هذا الانفراج وصاحب النظرة الواسعة البعيدة يدرك أن المحتل ما يعطي إلا ليأخذ الأضعاف، ولا يمنح إلا ليسلب الناس الضعاف .

فمن الطبيعي والحالة هذه أن نصل إلى مرحلة تسود فيها العبثية والغثائية، وهذا ما سطره أحمد هيكل حين قال: **وقد ساد تيار رواية التّسلية والتّرفيه في الفترة التي تمتد من أواخر القرن التاسع عشر، إلى الثورة القومية في سنة 1919م، وظلت الرواية حتى هذه الفترة غير معترف بها من كبار المثقفين والأدباء، لأنّ المثقفين كانت جهودهم مركزة إما في ميدان النضال السياسي أو في ميدان الإصلاح الاجتماعي،... ولذلك ظل ينظر إلى الرواية على اعتبارها وليداً غير شرعي في هذا المجتمع**[3] إن النتيجة كانت محتومة ومحسومة فرواية بهذا الشكل لن يعترف بها الأدباء الكبار .

---

[1] د أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبري الثانية، ص 96

[2] المرجع نفسه، ص 97

[3] المرجع نفسه: ص113

مدخل

ونرى بأنّ هيكل، كاتب رواية زينب اضطر نتيجة لهذا الاحساس إلى عدم إطلاق لفظ رواية على روايته زينب وسماها مناظر وأخلاق ريفية، كما أنّه لم يجسر على وضع اسمه عليها ولكنّه اكتفى بوصف مؤلفها بأنّه مصري الفلاح ... وأنّ موضوعها هو الحب، تلك العاطفة التي ينظر إليها بنفس الاستنكار الذي كان ينظر به المثقفون إلى الرواية[1].

وتعد وقائع تليماك أول مظهر من مظاهر النشاط الروائي في مصر، في القرن التاسع عشر والهدف التعليمي واضح من مقدمته التي كتبها رفاعة على الرواية المترجمة، وسماها ديباجة الكتاب وواضح أنّ رفاعة ترجم روايته لهدفين، الهدف الأول، تقديم نصائح للملوك والحكام والهدف الثاني، تقديم مواعظ لتحسين سلوك عامة الناس[2].

ثم قدّم فرح أنطون قصة في نفس الشكل كان مجالها المشاكل الاجتماعية، واختار علي مبارك مجال الرحلة أيضاً لجهوده التعليمية في كتاب، علم الدين وكتابه أكثر جفافاً عن كتب الرحالة العرب القدامى، وإن كان يتميز هو وفرح أنطون بأنّ رحلة كل منهما التعليميّة، كانت رحلة متخيّلة وإن كان ذلك لا يميزها عن قصة حي بن يقطان، التي كانت أحداثها متخيّلة أيضاً[3].

ولم يكن تعليم العلوم هو القصد الوحيد لعلي مبارك من كتابه، ولكنه حاول المقارنة بين بعض العادات الشرقيّة والغربيّة، ولذلك كان علي مبارك ينظر في كتابه إلى طلبة في المدارس المدنيّة الأخرى إلى مشايخ الأزهر، الذين رفضوا محاولاته لإدخال العلوم الحديثة في الأزهر ولذلك اختار في روايته شيخاً أزهرياً، وسماه علم الدين وعلي

---

[1] المصدر السابق: ص113

[2] د أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، ص63-64

[3] د محمد سيد عبد التواب، بواكير الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 سنة 2017م، ص54

مدخل

مبارك يقدّم لنا بهذه الصورة المقارنة بين العادات الشرقيّة والأوروبيّة وهي المحاولة التي سنلتقي بها في صورة أكثر تطوراً في حديث عيسى بن هشام.[1]

ومن الجدير بالذكر أن الأدب الجزائري تأخر نوعا ما في وجوده عن نظيره العربي وهذا له أسباب عديدة، بغض النظر عن طابع كل بلاد ومميزات كل منطقة، إلا أن القاسم المشترك بين الأدب العربي بشكل عام والجزائري بشكل خاص أكثر بكثير، كصيغ القصص القرآني والسيرة النبوية وجذور اللغة العربية ونحوها.

وقد كان أول عمل في الأدب الجزائري ينحو نحوا روائيا هو حكاية العشاق في الحب والاشتياق لصاحبه محمد بن إبراهيم سنة 1849م، تبعته محاولات أخرى في شكل رحلات ذات طابع قصصي منها ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس سنوات (1852م، 1878م، 1902م)[2].

تلتها نصوص أخرى كان أصحابها يتحسسون مسالك النوع الروائي دون أن يمتلكوا القدر الكافي من الوعي النظري بشروط ممارسته، مثلما تجسده نصوص غادة أم القرى سنة 1947م لـ أحمد رضا حوحو، والطالب المنكوب سنة 1951م لـ عبد المجيد الشافعي، والحريق سنة 1957م لـ نور الدين بوجدرة، وصوت الغرام سنة 1967م لـ محمد منيع، إلاّ أن البداية الفنية التي يمكن أن نؤرخ في ضوئها لزمن تأسيس الرواية في الأدب الجزائري اقترنت بظهور نص ريح الجنوب سنة 1971م لـ عبد الحميد بن هدوقة.[3]

ويمكننا أن نقول إن الأدب الجزائري تبلور وتشكل على مراحل يمكننا إجمالها في ثلاث أطوار أو فترات أو مراحل، فترة السبعينات وفترة الثمانينات وفترة التسعينات،

---

[1] د أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، ص69

[2] عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخيا وأنواعا وقضيا وإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، د ط، 1995م، ص 197-198.

[3] بن جمعة بو شوشة: سردية التجريب و حداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة و النشر، تونس، ط 1، 2005م، ص7.

وهذا التقسيم الثلاثي لا ينفي وجود نصوص أدبية روائية قبل هذه المرحلة وإنما ينفي وجود كم من النصوص يضاهي ما سيأتي بعد وتفصيلا لهذا نقول:

الرواية الجزائرية في فترة السبعينات:

وقد عرفت هذه الفترة إنتاجا أدبيا كبيرا تمثل هذا في نصوص وروايات شكلت اللبنة الأساسية للعمل الروائي، ويرجع الفضل في هذا أعمال عبد الحميد بن هدوقة في ريح الجنوب، وما لا تذره الرياح لـ محمد عرعار، واللاز والزلزال لطاهر وطار فكانت هاته الأعمال بمثابة الحجر الأساس لهذا الفن في قطرنا هذا، إذ فتح هؤلاء الأدباء الثلاث الباب على مصراعية لمن سيأتي بعدهم من الأدباء، ممن سيدين بالفضل لهم في هذا المجال، وبظهور هذه الأعمال أمكننا الحديث عن تجربة روائية جزائرية جديدة متقدمة.

ولأن أول جيل روائي جزائري كان بعد الاستقلال حمل هؤلاء في جيناتهم النضال السياسي والعمل الروائي، فبعد إلقاء السلاح آن وقت رفع الأقلام، فالروائيون الأوائل كانوا من جيل الثورة والاستقلال، ولذلك فقد تمتعوا بحصانة وتجربة في رصيدهم كما يقول أبو القاسم سعد الله: " **رصيد الثورة ونضج سياسي وتجربة نضالية**[1] ولهذا كانت كتاباتهم أكثر واقعية لأنهم لامسوا المعاناة بشكل مباشر.

فقد كان ابن هدوقة ممثلا لحزب أنصار الديمقراطية وحركة الطلاب الجزائريين بتونس أثناء دراسته، كذلك كان منخرطا في حزب جبهة التحرير، واشتغل في الإذاعة بعد الاستقلال، وكان الطاهر وطار عضوا في جبهة التحرير إبان تأسيسها، كما أنه اشتغل بالسياسة والصحافة التونسية، وبعد الاستقلال تفرغ للعمل السياسي بجبهة التحرير كمراقب للجهاز المركزي للحزب[2].

---

[1] أحمد فريحات، أصوات ثقافية في المغرب العربي، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط 1، 1984م، ص 87.

[2] بن جمعة بوشوشة، الرواية العربية الجزائرية، أسئلة الكتابة والصيرورة، دار سحر النشر، ط1، 1988م، ص 15.

مدخل

ولأن السياسة حاضرة في كل عمل أدبي ولأن البلد بشكل عام كانت تحت توجه موحد تمثل في الاشتراكية ،فلا يغيب عن نظر أي دارس أن الأدب قد توشح ببعض المصطلحات التي كان ظهورا نادرا إن لم نقل منعدما **كالثورة الزراعية والتسيير الاشتراكي للمؤسسات والتأميمات والطب المجاني وكذلك الأطر الديمقراطية للنضال الثوري والوطني بشكل شرعي على مستوى الجامعات وخارجها كلجان التطوع لفائدة الثورة الزراعية واللجان التربوي وغيرها من الأطر التقدمية** [1]فكانت هاته المصطلحات حاضرة حضورا قويا في الأعمال لا يكاد عمل يخلوا منها ،بل لا تكاد تمرر عينيك على صفحات قلائل من أي رواية إلا ووجدت هاته المصطلحات ماثلة أمامك ،وبين يديك وأمام ناظريك.

وكانت الأعمال الثلاث الآنفة الذكر تدور في فلك هاته المصطلحات، وتحوم حولها فعلى سبيل المثال رواية ريح الجنوب لابن هدوقة فأحداثها تدور حول أب يسعى جاهدا لتزويج ابنته نفيسة من رئيس البلدية لا لشيء إلا لحفظ أملاكه التي تحصل عليها من الثورة الزراعية، وتتشابك الأحداث وتتعقد عندما ترفض نفيسة هذا الزواج الذي هو أقرب إلى صفقة بيع منه إلى مشروع حياة كريمة، فهي بهذا تحاول الانعتاق من ربقة الاستبداد لتتحصل على شيء من الحرية.

وفي رواية الزلزال صور لنا هذا الروائي الطاهر وطار في روايته هذه حكاية إقطاعي جاء من العاصمة ليحمي أملاكه من شبح الثورة الزراعية، كما تصور الرواية جانبا كبيرا من تغيير الحياة فجسد لنا واقع المدينة ومشاكلها الناتجة عن الهجرة الداخلية، وكانت مدينة قسنطينة بجسورها مسرحا لأحداث الرواية.

الرواية الجزائرية في الثمانينات:

تميزت هاته الفترة بجملة من الأحداث التاريخية في الساحة الجزائرية ،حيث اشتدت الأمواج وعلت وتصاعدت الأصوات وغلت فتحركت القاعدة الشعبية لإزاحة

[1] واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 97

مدخل

بعض الظلم من وجهة نظرها ،فكانت أحداث **الربيع الأمازيغي** وتلاها ما عرف **بالأزمة الاقتصادية** وختمت هاته التقلبات **بأحداث 1988** ،ولم تكن هاته الأحداث لتمر مرور الكرام على الساحة الأدبية بل أثرت عليها بشكل أو بآخر، فتجلى بعد هذا أدب تجديد تمثل في روايات خلعت ثوب الاشتراكية كلية أو بشكل جزئي ،ومن تلك الروايات نذكر روايات واسيني الأعرج مثل وقع الأحذية الخشنة سنة 1981 م، و أوجاع رجل غامر صوب البحر سنة 1983 م، وراوية نوار اللوز أو تغريبة صالح بن عامر الزوفري سنة 1982م، التي يستثمر فيها التناص مع تغريبة ابن هلال وكتاب المقريري إغاثة الأمة لكشف الغمة[1].

ومن الأعمال التي صدرت في هاته الفترة رواية زمن النمرود سنة 1985 م للحبيب السايح، ورواية رائحة الكلب سنة 1985م وروايته حمائم الشفق سنة 1988م، لجيلالي خلاص كما كتب أيضا مرزاق بقطاش روايته البزاق سنة 1982م، وعزوز الكابران سنة 1989 م [2].

وقد أخرج رشيد بوجدرة عدة أعمال روائية نذكر من بينها راوية التفكك سنة 1982 م، والمرث سنة 1984م، وليليات امرأة آرق سنة 1985، ومعركة الزقاق سنة 1986م[3]

ومع كل هذا الزخم من الأعمال الأدبية فلازال جيل السبعينيات حاضرا، ففي هذه الفترة أصدر الطاهر وطار رواية العشق والموت في زمن الحراشي سنة 1980م[4].

الرواية الجزائرية في التسعينيات:

لقد كانت فترة التسعينات حافلة بالروايات التي تحاول أن تأسس لنص روائي يبحث عن تميز إبداعي مرتبط ارتباطا عضويا بتميز المرحلة التاريخية التي أنتجته،

---

[1] بن جمعة بوشوشة، التجريب وحداث السردية في الرواية العربية الجزائرية، ص9.

[2] المرجع نفسه، ص9.

[3] المرجع نفسه، ص9.

[4] نبيل سليمان، التجريب في الرواية الجزائرية، ص 68.

مدخل

وبالواقع الاجتماعي الذي شكل الأرضية، التي استطاع من خلالها الروائيين أن يستلهموا الأحداث والشخصيات من أجل قراءة الحادثة التاريخية قراءة مرهونة بالظرف التاريخي الصعب الذي مروا به، وما تردد في روايات التسعينات تصوير وضعية المثقف الذي وجد نفسه سجين بين نار السلطة وجحيم الإرهاب، وسواء كان أستاذا أم كاتبا أم صحفيا أم رساما أم موظفا، فإنهم يشتركون جميعا في المطاردة والتخفي وهم يشعرون دوما أن الموت يلاحقهم [1].

إن الأزمة التي عصفت بهذا البلد ونعني بهذا موجة العنف الإسلامي المسلح الذي اصطلح عليه بالإرهاب، والذي مس أطيافا كثيرة من المجتمع، فأخذت الرواية منعرجا آخر عالج موضوع الأزمة وآثارها فاتخذت راوية الأزمة من المأساة الجزائرية مدارا لها.

ومن النصوص التي صدرت في هاته المرحلة رواية الطاهر وطار الشمعة والدهاليز ورواية سيدة المقام لواسيني الأعرج، وفتاوي زمن الموت لإبراهيم سعدي، ومحمد ساري في الورم، وبشير مفتي في المراسيم والجنائز[2] .

وللغوص أكثر في الأمر نذكر أنّ الإرهاب في سيدة المقام ليس حديثا عابرا، ولا مجرد خبر يقرأ أو يصنع، بل إنّه أحد مكونات المدينة الروائية، فهو عنصر حاضر فيها ولو كان كعنصر هدم لا كعنصر بناء، ولكنّه لا يكتفي بتسجيل حضورها، وإنما يعطيها أيضا بعدها التاريخي والإيديولوجي والسياسي، من غير أن يفرط فيما تقتضيه الكتابة الأدبية من خصوصية فنية[3] .

وتصور لنا فضيلة فاروق حياة صحافية جزائرية في شرق البلاد من خلال روايتها تاء الخجل، إذ تحقق في عملية انتحار فتاة لتصل إلى حقيقة أنها قفزت من أحد

---

[1] حسين خمري: فضاء المتخيل – مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، ط1، 2002، ص 191

[2] آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الامل والنشر والتوزيع، د ط، د ت، ص 77.

[3] مخلوف عامر، أثر الإرهاب في الكتابة الروائية، مجلة عالم الفكر، ج 22 العدد 01، ص 316.

مدخل

جسور قسنطينة تلبية لرغبة والدها، إذ أنها اغتصبت من طرف الأيدي الآثمة، وفي الوقت الذي تصدم فيه هذه الصحفية تبدأ الاغتصابات الجماعية في جزائر التسعينات، فتصل الصدمة ذروتها وتفضل أن تغادر الوطن الجريح، لأن الوضع فيه خانق، ومن خلال رحلتها مع المغتصبات تتعاطف مع إحداهن لأنها من نفس منطقتها وتعيش معها أيام الاحتضار[1].

مع العلم أنّ ظاهرة الإرهاب التي ميزت الكتابة الروائية في عقد التسعينات، بدأت الإشارة إليها منذ السبعينات، وجاءت بشكل صريح مع الطاهر وطار في رواية العشق والموت في زمن الحراشي، إذ تصور لنا الرواية الصراع بين حركة الإخوان المسلمين وبين المتطوعين لصالح الثورة الزراعية[2].

وفي خضم كل هذا العنف والدماء وبين كل تلك الأشلاء وتمردا على الواقع الذي لا يطاق، ظهر موضوع العاطفة في الأدب الذي اصطدم بواقع معاش وعقلية أفراد لها توجه آخر، فصدرت رواية المراسيم والجنائز لبشير مفتي، ورواية شرفات البحر لواسيني الأعرج، ورواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، **ويمكن القول بأن هذا التوجه الذي يظهر في زمن العنف والدمار نحو الرواية العاطفية، هو توجه لا يزال في بدايته يكشف عن شؤم الجزائريين من العنف والدم والصراعات، تلك الأشكال القصوى والمتطرفة للكره والحقد** [3] إنه عصيان للواقع المفروض وتمرد عليه ،ففي خضم العنف لابد من تذكير الناس بإنسانيتهم وأنهم بشر تتعلج صدورهم معاني الحب والحنان

---

[1] ينظر شنفوقة علال المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية في السلطة السياسي، منشورات الاختلاف، ص 83.

[2] مخلوف عامر أثر الإرهاب في الكتابة الروائية، مجلة عالم الفكر، ج 22 العدد 01، ص 305-306 – 308-309.

[3] إبراهيم سعدي، وطار والأعرج ومستغانمي وخلاص ومفتي وصالح والجلاوزي، الرواية الجزائرية في السبعينيات: العنف والعاطفة، مجلة الحياة، السعودية، العدد 14321، 5 جوان 2002م، ص 17

مدخل

والعشق و الهيام ،فتنشأ لنا بهذا موجتان موجة العنف بقسوتها وموجة الحب بحنانها ولطفها.

ومما نستنتجه أن الأدب الجزائري مرورا بالمراحل الثلاث الآنفة الذكر ،قد صُقِلَ بسبب الأحداث وتلون بألوان السياسة من خلال التطورات والوقائع التي مرت بها هذه البلاد ،مما أسفر عن وجود كوكبة من الأدباء والروائيين الكبار، أمثال واسيني الأعرج وأحلام مستغانمي ورشيد بوجدرة والطاهر وطار وبشير مفتي، وغيرهم ومع أن البلاد اتجهت إلى التعددية الحزبية إلا أن بعض الكتابات كانت مرفوضة من السلطة، فطُوِق بعض الكتاب مثلما حصل مع حبيب السايح بعد نشره: زمن النمرود ، كما أنه لم يسمح بتداول رواية التطليق لـ رشيد بوجدرة في الجزائر إلا بعد انتهاء عهد بومدين، وغير ذلك من هذه النماذج.

الفصل الأول: معالم الشخصية النظرية والمنهج

- تعريف الشخصية

1) لغة

2) اصطلاحا

- أنواع الشخصية

1) الشخصية الرئيسية

2) الشخصية الثانوية

- أبعاد الشخصية

1) البعد النفسي

2) البعد الاجتماعي

3) البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي

4) البعد الفكري

- أهمية الشخصية

الفصل الأول

تعريف الشخصية:

لغة:

يتحدد المفهوم اللغوي للشخصية بالعودة إلى أمهات المعاجم والقواميس، وأول معجم نعود إليه لسان العرب لابن منظور الذي ورد فيه ضمن مادة ش خ ص ما يأتي:

الشخص: جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكر، والجمع أشخاص وشخوص وشخاص،

والشخص: سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، تقول ثلاثة أشخص.

وكل شيء رأيت جسمانه، فقد رأيت شخصه

والشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور

والشخيص: العظيم الشخص

وشخص، بالفتح، شخوصا: ارتفع. [1] فقد ذكر ابن منظور رحمه الله خمسة معان لكلمة شخص.

كما وردت لفظة الشخصية في معجم الوسيط أنها **صفات تميز الشخص من غيره ويقال فلان ذو شخصية قوية ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل**[2] فهو بهذا اقتصر على معنى واحد، رأى أنه هو الذي يغلب عند الإطلاق وقد يكون هذا المعنى قاصرًا لا يستوعب كل ما ترمي إليه الكلمة من معانٍ.

أما في القاموس المحيط **الشخص: سواد الإنسان وغيره تراه من بعد**

ج أشخص وشخوص وأشخاص.

وشَخَصَ، كمَنَعَ، شخوصا: ارتفع،

---

[1] أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3 سنة – 1414 هـ، ج 7 ص 45 بتصرف

[2] إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، إسطنبول تركيا، دط دت، ص 475

وبصره: فتح عينيه، وجعل لا يطرف،

وبصره: رفعه،

ومن بلد إلى بلد: ذهب، وسار في ارتفاع،

والشخيص: الجسيم، وهي: بهاء، والسيد،

ومن المنطق: المتجهم.[1] وبهذا نجد ان الفيروز آبادي توسع في ذكر معاني كلمة شخص بما لم يسبقه إليه غيره، وذكر لها معاني كثيرة وصلت إلى سبعة معاني.

أما في معجم المصطلحات الأدبية: تشير **الشخصية إلى الصفات الخلقية والجسمية والمعايير والمبادئ الأخلاقية، ولها في الأدب معاني أخرى وعلى الأخص ما يتعلق بشخص تمثله رواية أو قصة**[2] واقتصر محمد إبراهيم في تعريفه للشخصية على ما يناسب كتابه، وإن كان ذكر إجمالا أن لها معاني متعددة لكنه لم يذكر منها إلا ما يخدم كتابه فقط.

كما ترى سامية حسن السعاتي **أن الأصل في كلمة شخصية أنها مشتقة من لفظ لاتيني persona ومعناها القناع أو الوجه المستعار الذي يظهر به الشخص أمام الغير، وكان استعمال هذا اللفظ مرتبطا بالتمثيل المسرحي حيث يبدو الشخص للغير عن طريق ما يأتيه من حديث وحركات ظاهرة ،والغرض من استعمال هذا القناع هو تشخيص خلق الشخصية**[3] فهذا التعريف يعبر عن المظهر الخارجي الموضوعي للشخصية وما يبدو عليه الشخص من طباع وصفات قادرة على التأثير في الآخرين، فالشخصية تختلف من شخص إلى آخر وهي موجودة عند أفراد ومفقودة عند آخرين، والحقيقة أن لكل إنسان

[1] مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط 8، سنة 1426 هـ - 2005 م، ج 1 ص 621، بتصرف

[2] إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، دار محمد علي الحامي للنشر . صفاقص، تونس د ط 1988 م ص 195

[3] سامية حسن السعاتي، الثقافة والشخصية بحث في علم الاجتماع الثقافي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ط 2 سنة 1983م، ص 116

يعيش في المجتمع شخصيته الخاصة به، غير أن الناس يختلفون في نوع الشخصية وليس في وجودها وعدمها .

اصطلاحا

الشخصية في اللغة والأدب هي أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين، الذين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية [1].

وتعد الشخصية من أهم العوامل المساهمة في تشكيل القصة، حيث تعد ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا، وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها، فالشخصية من المقومات الرئيسية لرواية الرواية بقولهم الرواية الشخصية [2].

إذ تلعب الشخصية دورا أساسيا في تحقيق الإنتاج الأدبي، وهذا ما جعل بعض النقاد يعمدون إلى دراسة شخصية الأديب أولا قبل الولوج إلى إنتاجه ومحاولة فهمه ،وهذا يثبت ما جاء في المعجم الأدبي أن الشخصية فنيا هي العامل الأساسي في تحقيق الآثار الفنية، وهي التي تسبغ عليها طابعا خاصا وتتجلى بوضوح في تصور موضوعاتها وفي تنفيذها و الأسلوب المتبع فيها ،فإذا ما سيطرت شخصية الفنان على آثاره من دائرة المحاكاة و التقليد وانطلق في دروب الإبداع و التمييز عن الآخرين ،وهذا ما دعا عددا من النقاد إلى دراسة شخصية الفنان قبل الانكباب على إنتاجه ومحاولة فهمه [3]

أما عبد الملك مرتاض فذهب إلى أبعد من ذلك حيث يقول: **تعددت الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية، التي ليس لتقويمها ولا لاختلافها من حدود أي أن الشخصية أنواع متعددة وذلك بتعدد الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات، أي حسب البيئة والوسط**

[1] فريال سماح، رسم الشخصيات في روايات ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة 1999 م، 18/17

[2] محمد التوتجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط 1 بيروت سنة 1993 م، ج2 ص 456-457

[3] عبد النور جبور، المعجم الأدبي دار العلم، لبنان، ط 1 سنة 1979 م، ص 147

الاجتماعي التي تعيش فيه [1] إنه بهذا يبرر تعدد الروايات ويفسر هذا الأمر ويرجعه إلى أصوله الأولى.

والواقع أنه لا يمكن اعتبار كل شخصية بالضرورة إنسانًا، قد تكون الشخصية حيوانا أو شجرة أو بيضة، وهذا ما عبر عنه فيليب هامون في كتابه بقوله الشركة المجهولة الاسم، المشروع، السلطة،[2] المهم كل تشكل شخصيات إلى حد ما مشخصة وصورية وضعها القانون على خشبة المجتمع كذلك البيضة، الدقيق، الزبدة، الغاز هذه المواد تشكل شخصيات لا تبرز إلا في النص المطبخي كما يشكل الفيروس، الميكروب، الكرويات، العضو، شخصيات في نص يسرده الصيرورة التطورية لمرض ما أي أن لكل مجال شخصياته الخاصة[3].

ولأن الشخصية عنصر أساسي في العمل الأدبي فقد نالت قسطا وفيرا من البحث والتقصي والكشف، وقد عرفها إيزنك فقال: **الشخصية هي الجانب الذاتي الذي يتميز به الفرد في توافقه مع بيئته، فتظهر في أخلاق الفرد ومزاجه وقواه البدنية والعقلية** [4] فإيزنك بهذا التعريق يتطرق إلى الشخصية من المنظور الشخصي لا الروائي.

ولم يحد رولاند بارت في تعريفه للشخصية عن فلك من ذكرناهم فقال: **هي نتاج عمل تأليفي، وكان يقصد أن هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى علم يتكرر ظهوره في الحكي.**[5] فرولاند تحدث أو عرف الشخصية الأدبية الروائية فيكون بهذا غطى الجانب الذي أهمله إيزنك حين عرف الشخصية.

---

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط سنة 1998 م، ص 73

[2] فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بكران، دار الكلام، الرباط دط، سنة 1990 م، ص 19-18

[3] محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، سنة 1996 م، ص 5

[4] عائشة بنت سعيد بن سالم البادي، بعض سمات الشخصية وعلاقتها بفاعلية الذات لدى الأخصائيين الاجتماعيين، جامعة نزوى، كلية العلوم والآداب قسم التربية والدراسات الإنسانية، سنة 2014 م، ص 28

[5] تيز فطان تودوروف،" مفاهيم سردية " ترجمة عبد الرحمان مزيان، ط 1، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي البلدي 2000 م – 2005م، ص 50

وقد غاص بودن في تعريفه للشخصيّة أبعد من غيره، فقال: **إنها الاتجاهات والميول المتأصّلة والثابتة عند الإنسان، والتي تضبط عمليّة التوافق بين الفرد وبيئته.**[1] فهو بهاته النظرة الثاقبة للشخصية كشف مكنون الشخصية ووضح أهم ما تتميز به.

إن هذا التنوع في تعريف الشخصية كان مرده نظرة كل واحد من هؤلاء العلماء إلى الشخصية ،ومدى أهميتها في بناء الرواية ،وإن كان الجميع متفق على أنها لبنة أساسية لا يسع الكاتب الاستغناء عنها ولا إهمالها، كيف لا وهي التي يصبغ عليها عوامل الزمان والمكان والأحداث ،فهي همزة وصل بين كل عناصر الرواية ويكفينا في هذا ما قاله أيان وات وهو يستعرض أهمية الشخصية قائلا :**إن الشخصية الروائية هي ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع**[2] فأوضح أنه لا يمكن الاستغناء عن الشخصية بل هي أهم ما يستخدم الكاتب في عمله الروائي .

ومن هنا ندرك أن الشخصية أهم أدوات الكاتب في التعبير فبها يصول وهي المعول وعليها يجول، فإن هو أحسن امتلاكها وكان لأدبه مقصد نبيل نتج عن هذا أدب تفنى فيه الأعمار، وترفع به المعنويات فرب كلمة صادقة أورثت سعادة ساعة.

وقد نالت الشخصية اهتمام كثير من العلوم كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الهندسة النفسية وكثير من العلوم التطبيقية، ولسنا بصدد الحديث عن الشخصية في تلك العلوم لأن ما يهمنا في هذه الدراسة هو الشخصية في الفنون الأدبية وتحديدا في الرواية، حيث تعد الشخصية أهم العناصر التي تقوم عليها الرواية والقصة والأقصوصة والمسرح، فهي ولا شك مصدر إمتاع وتشويق في القصة لعوامل كثيرة.

أنواع الشخصية:

[1] عائشة بنت سعيد بن سالم البادي، بعض سمات الشخصية وعلاقتها بفاعلية الذات لدى الأخصائيين الاجتماعيين، ص 27

[2] تيز فطان تودوروف، مفاهيم سردية، ترجمة عبد الرحمان مزيان، ص 44

تعد الشخصية المحرك الأساسي في العمل الأدبي فهي ركيزة لا يستغني عنها الكاتب، وأداة رئيسية إن أحسن الكاتب استخدامها كان لعمله الأدبي طابعا جماليا، يتعاطف معها القارئ والناقد على حد سواء، كيف لا وهي القالب الذي يذيب فيه الأديب تخيلاته وأماله وخيباته وأحلامه، ففيها تكمن الحبكة وبواسطتها يصوغ الكاتب أحداثه.

وتُقَسم الشخصيات تقسيمات متعددة، على حسب منظور الكاتب ورؤيته للوقائع ولعل أكثرها شيوعا وأقربها إلى الاستيعاب، تقسيمها إلى شخصيات رئيسية وثانوية فيكون للأولى أهمية منقطعة النظير لأنها محور الأحداث، وتعتبر الثانية خادمة أو مساندة، لا يعتبر هذا انتقاصا من دورها ولا هضما من حقها، ولكن لها مكانة دون الأولى وأقل منها، ومع أن حضورها قد يكون باهتا أحيانا، لكن يكفيها شرفا أن تضيء لنا جانبا قد يكون مظلما في شخصية رئيسية.

ومن هذا المنطلق يمكننا أن نقسم الشخصيات إلى شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية.

أ: الشخصية الرئيسية:

وهي التي يقوم عليها العمل الأدبي والمحور الأساسي للأحداث فيُوليها الكاتب بهذا أهمية قصوى، ويعطيها مساحة كبرى، **فالروائي يقيم روايته حول شخصية رئيسية تحمل الفكرة والمضمون الذي يريد نقله إلى قارئه، أو الرؤية التي يريد أن يطرحها عبر العمل الروائي** [1] فلا يكاد يخلوا عمل روائي من شخصيات رئيسية تدور في فلكها أحداث القصة.

فهي بهذا محط أنظار النقاد **ولا يمكن لأي دارس أو ناقد أن يتجاهل أن الرواية تدور حول شخص رئيسي، أو محور تنطلق منه الأحداث أو تدور حوله الأحداث ومعه شخصيات أخرى ميزها النقاد عن الشخصية الرئيسية أو المحورية بأنها شخصيات ثانوية**

[1] محمد على سلامة، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، المجلس الأعلى للثقافة، سنة 2011، ص 25

[1] فنجاح أي رواية من فشلها يكمن في مدى قدرة الكاتب على توجيه شخصياته، خاصة الرئيسية لخدمة فكرته الصحيحة وتجسيدها بين سطور الرواية.

وعليه يمكننا القول إن الشخصية الرئيسية **تقودنا إلى طبيعة البناء الدرامي، فعليها نعتمد حين نبني توقعاتنا ورغباتنا، التي من شأنها أن تحول، أو تدعم تقديراتنا وتقييمنا ومن ثم تنهض قيمة معظم الروايات، وما تحدثه من التأثير الفعال على مدى مقدرة الشخصيات الرئيسية في تقديم الموقف، والقضايا الإنسانية التي يطرحها العمل تقديما حيويا، وأننا نميل إلى تقييم العمل في ضوء مقدرة الشخصيات على تجسيد تلك المواقف بصورة مقنعة** [2] فالكاتب الناجح من استطاع الوصول بواسطة شخصياته الرئيسية إلى هذا الهدف والعكس بالعكس.

وللغوص أكثر في مفهوم أو طبيعة الشخصية الرئيسية نستعرض ما وصفها به آنريكي أندريسون فقال: **توصف الشخصيات بأنها رئيسية عندما تؤدي وظائف مهمة في تطوير الحدث، وبالتالي يطرأ على مزاجيتها تغيير وكذلك على شخصيتها، أما الشخصيات الثانوية فهي التي لا يطرأ عليها تغيير، أو تتغير في إطار الظروف المحيطة، إن الشخصيات الرئيسية هي شخصيات مسيطرة، وتظهر بصورة الأفراد المهيمن رغم أن سلوكها قد لا يتسم بالسلوك البطولي، وأيا كانت الأحداث والتصرفات الصادرة عنها فإن الباعث ينير معالم الشخصية، أما الثانوية فهي تابعة تسهم في إضفاء اللون المحلي للقصة**[3]. فأبرز أنريكي مدى أهمية الشخصية الرئيسية، وعوامل تغيرها وأسباب كل هذا، والمفهوم المطروح للشخصية الرئيسية حدد له هينكل ثلاث خصائص وهي:

1) مدى تعقيد التشخيص

---

[1] المرجع نفسه، ص 27

[2] روجرب هينكل، قراءة الرواية، ترجمة صلاح رزق، دار غريب، القاهرة، ط 1، سنة 2005 م، ص 186

[3] أنريكي أندريسون، القصة القصيرة (النظرية والتقنية)، ترجمة: علي إبراهيم علي منوفي، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – 2000 م، ص 239 –240.

2) **مدى الاهتمام الذي تستأثر به بعض الشخصيات**

3) **مدى العمق الشخصي الذي يبدو أن إحدى الشخصيات تجسده.**[1]

ولهذا يمكننا أن نعتبر **الشخصيات الرئيسية نقطة مهمة يتوقف عليها فهم التجربة المطروحة في الرواية، فعليها نعتمد حين نحاول فهم مضمون العمل الروائي**[2]

ولشدة أهمية الشخصية الرئيسية في بناء الرواية **فهي الشخصية الفنية التي يصطفيها القاص لتمثل ما أراد تصويره، أو ما أراد التعبير عنه من آراء وأحاسيس، وتتمتع الشخصية الفنية المحكم بناؤها باستقلالية في الرأي، وحرية في الحركة داخل النص القصصي**[3].

فبهذا يمكننا اعتبار الشخصية الرئيسية أنها هي التي **تدور حولها أو بها الأحداث وتظهر أكثر من الشخصيات الأخرى، ويكون حديث الشخوص الأخرى حولها فلا تطغى أي شخصية عليها، وإنما تهدف جميعا لإبراز صفاتها ومن ثمة تبرز الفكرة التي يريد الكاتب إظهارها** [4].

وهاته الأمور هي ما جعلت من الشخصية الرئيسية أشبه ما تكون ببوصلة تدور في فلكها الأحداث، وكيف لا ووظيفتها الأساسية **تجسيد معنى الحدث القصصي لذلك صعبة البناء وطريقها محفوف بالمخاطر**[5].

---

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، زنقة المامونية الرباط مقابل وزارة العدل، ط 1، ص 56

[2] المرجع نفسه ص57

[3] شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، سنة 2009 م، ص 45

[4] عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي دار الفكر، عمان الأردن، ط 3 سنة 2000 م، ص 135

[5] شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص 45

على أننا ننبه أن الشخصية الرئيسية وإن كانت هي **التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام، وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما، ولكنها الشخصية المحورية، وقد يكون هناك منافس لهذه الشخصية** [1].

ومن هنا نستطيع القول إن الشخصية الثانوية وإن كان ظهورها قليلا في مسرح الأحداث لكن لا يمكننا فصلها عن الواقع المتخيل للكاتب.

ب: الشخصية الثانوية

وتوصف أيضا بأنها مساندة وداعمة، فهي مستودع سر الشخصيات الرئيسية وبوابة القارئ للولوج إلى أعماق ما يدور في نفسها، **فهي التي تضيء الجوانب الخفية أو المجهولة للشخصية الرئيسية أو تكون أمينة سرها فتبيح لها بالأسرار التي يطلع عليها القارئ** [2] فهي بهذا مفتاح وسبب لفهم الشخصيات الرئيسية، وأداة لإضاءة بعض الجوانب المظلمة فيها.

ومع أن الشخصية الرئيسية لا غنى عنها في البناء الروائي فالشخصية الثانوية لا تخلو رواية منها، **فهي إما عوامل كشف عن الشخصية المركزية وتعديل سلوكها، وإما تتبع لها تدور في فلكها، وتنطق باسمها فوق أنها تلقي الضوء عليها وتكشف عن أبعادها.** [3] فبهذا يكون إبراهيم العسافين قد ذكر أهم ثلاثة وضائف للشخصية الثانوية، فهي تكشف عن الشخصية الرئيسية أو تعدل سلوكها أو تدور في فلكها.

وعن أهمية هذا النوع من الشخصية يقول باسم عبد الحميد **إن الشخصية الثانوية هي الشخصية المساندة التي تعطي للعمل الروائي حيويته ونكهته وقدرته على إبلاغ رسالته، وإن تجذير الصورة الدرامية داخل العمل الروائي لا يتم إلا من خلال تحريك الشخصيات الثانوية التي تعطي للصراع ذروته ومعناه، ومن هنا فالشخصية الثانوية**

[1] ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، ص 212

[2] عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص 135

[3] إبراهيم السعافين، تطور الرواية العربية في بلاد الشام، دار المناهل، بيروت 1987، ص 4

ليست حالة أو مادة عابرة أو مفروضة على مسرح الحدث وأستطيع الادعاء تبعا لذلك، وبغير كثير من التشكيك أن الشخصية الثانوية بطلة أيضا إنما بمستواها. [1] فيكون بهذا باسم عبد الحميد قد رفع الشخصية الثانوية إلى درجة جعلها فيها بطلة لكن من منظور مختلف، ورؤية مختلفة فهي ليست دخيلة في الرواية بل عامل مهم ومحرك أساسي من منظور خاص.

وقد تتقمص الشخصية الثانوية عدة أدوار **قد تكون صديق الشخصية الرئيسية أو إحدى الشخصيات التي تظهر في المشهد بين الحين والآخر، وقد تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معيق له، وغالبا تظهر في سياق أحداث أو مشاهد لا أهمية لها في الحكي**[2]. فلا يقتصر أداءها على دور واحد، بل نجدها في أدوار كثيرة ومهام عديدة.

وهذا ما يعطيها بعضا من حرية التنقل والتجول في الحقل الدلالي للرواية، وبين أحداثها، فهي لا تلبس رداءً واحدا بل تلبس لكل حدث رداء، ولكل واقعة غطاء، و**إذا كانت الشخصيات ذات الأدوار الثانوية أقل في تفاصيل شؤونها، فليست أقل حيوية وعناية من القاص، وكثيرا ما تحمل الشخصيات آراء المؤلف**[3] فهي تتكلم بما يريد، وتبطش بالذي يشاء، فيبثها أفكاره ويطلقها في حقل دلالي، فالمتكلم في الرواية الشخصيات والمتكلم في حقيقة الأمر هو الكاتب نفسه.

ومن هنا ندرك أن وجود الشخصيات الثانوية ليس ثانويا بالمعنى الحرفي للكلمة **فوجودها أساسي لتكمل الأحداث، فهي تصعد إلى مسرح الأحداث بين الحين والآخر، وفقا للدور المنوط**[4] فلا يمكن الاستغناء عنها، ولا إقصائها وإهمالها.

---

[1] باسم عبد الحميد حمودي، مدخل إلى الشخصية الثانوية في الرواية العراقية، الأقلام، 1988م، ص 42.

[2] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص57

[3] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، دار العودة، بيروت،1973م، ص 205.

[4] عزت العداوي بناء الشخصية في رواية "الحواف " أحمد شعث، مجلة جامعة الخليلي للبحوث 2010 م، المجلد 5، ص 3

فهي **تشارك في نمو الحدث القصصي وبلورة معناه والإسهام في تصوير الحدث، ويلاحظ أن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسية، رغم أنها تقوم أدوار مصيرية أحيانا في حياة الشخصية الرئيسية** [1] فهي رغم كل هذا أقل مكانة من الشخصية الرئيسية، ويكفي دلالة على هذا أنها تدور في فلكها وتضيء الجوانب المعتمة منها.

فوصفها بأنها ثانوية هذا **بالقياس إلى باقي عناصر العمل التخيلي، أي خاضعة خضوعا تاما لمفهوم الحدث، وقد انتقل هذا التصور إلى المنظرين الكلاسيكي الذين لم يعودوا يرون في الشخصية سوى مجرد اسم للقائم بالحدث** [2].

فمع أن الشخصية الثانوية تبقى أدنى من ناحية الحضور على مسرح الأحداث **إلا أنها ضرورية للقصة لأنها تطرح الوجه المقابل للبطل، أو توضح بعض صفاته، أو تقدم له شيئا من المساعدة.** [3]

وللشخصية الثانوية دور في تصعيد الحدث وصنع الحبكة، فهو لا يقل أهمية عن دور الشخصية الرئيسية، **إنها شخصيات متناثرة في كل رواية، تساعد الشخصية الرئيسية في أداء مهمتها وإبراز الحدث**[4]

أبعاد الشخصية

تعتبر الشخصية ركيزة هامة في العمل السردي، فهي كل مشارك في أحداث الرواية، ويتم النظر إليها من خلال أبعاد محددة وهي البعد الجسمي، البعد النفسي، البعد الاجتماعي، البعد الفكري.

- **البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي:**

[1] شريبط أحمد شريبط، تطور البنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص 45

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص 208

[3] غالب حمزة ابو الفرج في قصص وروايات "الأدب الهادف" غريد الشيخ، ص 392

[4] المرجع السابق، ص 132

للبعد الفيزيولوجي أهمية كبرى في توضيح ملامح الشخصية، فهو مجموعة الصفات والسمات الخارجية التي تتصف بها الشخصية، سواء كانت هذه الأوصاف بطريقة مباشرة من طرف الكاتب ﴿الراوي﴾ أو إحدى الشخصيات أو من طرف الشخصيات أو من طرف الشخصية ذاتها عندما تتصف بها، أو بطريقة غير مباشرة ضمنية مستنبطة من سلوكها أو تصرفاتها[1].

أي أن البعد الفيزيولوجي يقوم على الظواهر الخارجية التي تبدو عليها الشخصيات، فهو يشمل المظهر العام للشخصية وملامحها وطولها وعمرها ووسامتها وذمامة شكلها وقوتها الجسمانية وضعفها [2].

كما يهتم الروائي أيضا باسم الشخصية لأنه يؤدي دورا كبيرا في وصف الشخصية فمثلا يمنحها اسما وصفيا يحدد جنسها، إما مفردا سيدات نساء شباب وهذا الاسم الوصفي عمري أو آني.

- **البعد الفكري**

ويقصد بالبعد الفكري للشخصية هو انتمائها أو عقيدتها الدينية وهويتها وتكوينها الثقافي، وما لها من تأثير في سلوكها ورؤيتها وتحديد وعيها ومواقفها من القضايا العديدة.[3]

[1] فاطمة نصير، المثقفون والصراع الإيديولجي في رواية أصابعنا التي تحترق لسهيل إدريس، مذكرة الماجستير مخطوط تخصص نقد أدبي جامعة محمد خيضر بسكرة 2007-2008 م ص 84

[2] عبد الكريم الجبوري، الإبداع في الكتابة والرواية، دار الطليعة الجديدة دمشق، ط 1 سنة 2003 م ص 88

[3] عبد الرحمن حمدان، بناء الشخصية الرئيسية في رواية عمر يظهر في القدس للروائي نجيب الكيلاني، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، 2011 م، ص 128

أي أن لتصوير الملامح الفكرية للشخصية الروائية أهمية كبيرة على مستوى التكوين الفني، إذ تعد السمة الجوهرية لتمييز الشخصيات بعضها على البعض الآخر، وكلما اعتنت ملامحها الفكرية كانت أكثر ديمومة وتميزا[1] .

يمثل هذا البعد الأبعاد الفكرية التي تتحلى بها الشخصية من فكر ديني وفكر ثقافي وفكر سياسي وانعكاساتها على المجتمع.

- **البعد الاجتماعي**

يمكن فهم هذا البعد من خلال عتبته النصية فهي التي تساعدنا في فهمه فهم يتعلق بالجانب الاجتماعي للشخصية، من منشأ وبيئة وثقافة أي مكان ولادته وتربيته ودرجة ثقافته إن كان متعلما أو جاهلا ومنزلته الاجتماعية سواء أكان فقيرا أو غنيا.[2]

كما يحتوي هذا الجانب أيضا المركز الذي تستغله الشخصية فربما تكون الشخصية فلاحا أو عاملا أو أميرا، وهذه المراكز الاجتماعية لها أهميتها البالغة في بناء الشخصية وتبرير سلوكها وتصرفها، فكل مجتمع له مشكلة والكاتب الملتزم يجب أن يسخر كتاباته لتحليل الأوضاع الاجتماعية والمشاكل الإنسانية وإظهار الفساد في المجتمع عن طريق تسخير شخصياته لنقد الواقع المعاش[3].

ومنه فإن البعد الاجتماعي يعتبر مهم في كشف التفاصيل حول الشخصية، من منزلتها الاجتماعية ودرجة ثقافتها وعلاقتها بالناس بإضافة مركب نجل أبيض مرآة رشيقة أو

[1] نبهان حسون السعدون، الشخصية المحورية في رواية عمارة يعقوبيان لعلاء الأسوداني، دراسة تحليلية، جامعة الموصل/ مجلة أبحاث التربية الأساسية ج 13 العدد 1 سنة 2014 م، ص 181

[2] عبد الله تقنيات الدراسة في الرواية العلاقات الإنسانية، دار الكتاب العربي، د ط 2001 م، ص 27

[3] عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية السردية في رواية ثرثرة فوق النيل مجلة كلية الآداب العدد 102 قسم اللغة العربية جامعة صلاح الدين أربيل العراق ص 52

يحدد مكان الشخصية مثل فتاة الشام أو مهنتها كاتبة روائية، إن الوصف الخارجي يجعل الشخصية أكثر وضوحا وفهما.

- **البعد النفسي**

أو البعد السيكولوجي إن الشخصية من أصعب معاني علم النفس تعقيدا وتركيبا وذلك لأنها تشمل الصفات الجسمية والوجدانية والخلقية في حالة تفاعلها مع بعضها البعض لشخص معين يعيش في بيئة اجتماعية معينة [1]ويتمثل هذا البعد في طابع الشخصية وما يميزها عن باقي الشخصيات، كأن تكون طيبة أو شريرة كما تتجلى أيضا فيما تقوم به أو تقوله وما يظهر عليها من انفعالات وعواطف حزن فرح غضب استقرار، وهذا البعد هو ثمرة البعدين السابقين فنفسيتها هي التي تكمل كيانها الاجتماعي والجسماني[2].

من خلال دراستنا لهذه الأبعاد نجدها متداخلة فيما بينهما يؤثر كل منها على الأخر ويتأثر به، فالطباع رغم أنها فطرية تتأثر بالتربية والبيئة والجانب العقلي، تنميه الثقافة والتربية والثياب تعبر عن ذوق صاحبها وبيئته ومستواه الاجتماعي في الوقت نفسه، وبالتالي لا يمكن لأي شخصية أن تكون منعدمة من هذه الأبعاد الثلاث، فالشخصية هي مجموعة من الصفات الجسدية والنفسية موروثة ومكتسبة، عادات وتقاليد وقيم وعواطف متفاعلة كما يراها الآخرون من خلال التعامل معه

أهمية الشخصية

قبل الولوج في بيان أهمية الشخصية لابد لنا من بيان أن **الشخصية أداة فنية يبدعها المؤلف لوظيفة هو مستعد إلى رسمها، وهي شخصية نسبية قبل كل شيء حيث لا توجد خارج الألفاظ إذ لا تعدو من كونها كائن من ورق** [3] فهي أقرب إلى الخيال منها

[1] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث دار العودة بيروت لبنان ط 1 سنة 1982 م، ص 614

[2] عبد المنعم الميلادي، الشخصية وسماتها مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية د/ط 2006 م، ص 25

[3] عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، سنة 1990م، ص 67-68

إلى الواقع فليس لها وجود إلا في مخيلة الكاتب، وإن كان هذا الأخير قد يستخدم أحيانا شخصيات حقيقة.

إن الشخصية أحد أهم المكونات في العمل الأدبي، فهي الأداة التي يتمكن الكاتب بواسطتها من بسط أفكاره على مسرح الأحداث، وهي عنصر استقطاب لجل الأعمال الفنية في الوسط ذاته وتظهر هذه الأهمية في كونها لها **القدرة على تطور الحدث، وتطوير النص داخليا وخارجيا، وتمتاز بالتركيز والدقة والمتانة والبعد الفني في التفكير والعمل والاستجابة ورد الفعل**[1] فهاذه هي الأمور التي تتجلى فيها أهمية الشخصية، فهي تطور الأحداث من خلال ما يسكبها عليها الكاتب من وقائع في أزمنة وأمكنة محددة سلفا.

وهي تجسد قدرا لا بأس به من حيز الحياة الاجتماعية بكل مكوناتها، وقد **لعبت الشخصية دورا فعالا في القرن التاسع عشر خاصة لدى نقاده، حيث كانت لها وظيفة اختزال وإبراز مميزات الطبقة الاجتماعية، وتصاعد قيمة الفرد في هذه الفترة وأهمية الفاعل في المجتمع** [2] فقد حازت منزلة عظيمة عند النقاد وعند الأدباء والكتاب على حد سواء.

فلم تعد الشخصية مجرد كائن ورقي بل **صارت الشخصية ذات وجود فعلي متعدد المستويات، لا يستمد شرعيته من الأعمال وحدها بل أصبحت الشخصية ذات هوية وخصائص مختلفة، وما يدل على هذه الأهمية من الشخصية جاءت بعض الأعمال السردية مدار القصة ومادتها وربما أعظمها اسما، فصار عالمها واحد مثل شخصية الأب غوريو لبلزاك والسيدة بوفاري لفلوبير وزينب لمحمد حسين هيكل وإبراهيم النظام للمازني**[3].

[1] عز الدين جلاوجي" بنية النص المسرحي في الأدب الجزائري" – دراسة نقدية – الجزائر سنة 2007 م، ص 130

[2] إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، ص 34

[3] الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس ص 97

ولقد تلقت الشخصية انتقادا كبيرا حد إهمالها إلا أنها **تمثل أهمية قصوى فالشخصية هي الشيء الذي تتميز به الأعمال السردية عن أجناس الأدب الأخرى أساسا، فلو ذهبت الشخصية عن أي قصة لصنفت ربما في جنس المقالة** [1] فهي بهذا **ليست مجرد نسيج من الكلمات بلا أحشاء، لذا يبدوا اعتماد التأويل في تحليل الخطاب اختيارا يعيد للشخصية طابع الحياة كما يحافظ عليها ككائن حي** [2].

ومن هنا ندرك أن للشخصية دورا كبيرا في البناء السردي فهي عنصر مهم لا تقوم الرواية إلا على ساعده **فبناؤها يرتبط ارتباطا وثيقا بموضوع الرواية وأحداثها وهيكلها العام** [3] ،ولم يكن للشخصية من أهمية إلا هذا لكفى بها أهمية فهي التي تربط عناصر الرواية بعضها ببعض بين الحدث والزمان والمكان ونحو هذا.

فهي تبث الحياة على باقي المكونات السردية، فلا يمكن لكاتب أن يستغني عنها، وقد أبرز الكاتب هنري جيمس هاته الأهمية فقال: **إن الشخصية هي أساس الرواية وأن الشكل الروائي قد خلق للتعبير عنها** [4]

وفي فلك هنري سار بورنوف وريال أوتيليه فقالا مبرزين أهمية الشخصية: إنها **أبرز عنصر من العناصر المكونة للرواية لأنها تتفاعل مع الزمان والمكان ونضع الحدث وتؤثر في بعضها بعضا، ويكتنف بعضها البعض الأخر، وقد يصل الأمر في بعض الآثار الروائية إلى أن ترتبط الطبيعة أو الأشياء مع الشخصيات بروابط أكثر عمقا** [5].

---

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات الكتابة الروائية، ص 134

[2] يمنى العيد، دلالات النمط السردي في الخطاب الروائي تحليل رواية غاندي الصغير لإلياس النحوي ملتقى السمياء والنص الأدبي، الجزائر 1995، ص 238

[3] صالح صلاح، السرديات العربية المعاصرة، المجلس الأعلى، القاهرة، ط 1، ص 171

[4] هنري جيمس وجوزيف كوتراد وآخرون، نظرية الرواية في الأدب الإنجليزي الحديث، ترجمة أنجيل سمعان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 1 سنة 1994 م، ص 56

[5] رولان بورنوف وريال أوئيليه، عالم الرواية، ترجمة نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1 سنة 1991 م، ص 137

ولم تخرج بوين عن هذا السياق فقالت منوهة بها: **هي الأخرى تجعل معيار جودة الرواية هو نجاح الروائي بخلق شخصيات متألقة بصفاتها وملامحها وما تحمله من ميزات وخصائص مقنعة وجذابة، إذ تؤكد هذه الأخيرة في محاولة بحثها عن سر اهتمام القراء بالرواية من أن قدرة الشخصيات على جذب القراء بتألقها فهي سر اهتمام القرّاء بأية رواية** [1] فكل من هنري وبورنوف وريال وبوين وضحوا أهمية الشخصية، وأنها عنصر فعال في الرواية لا يمكن الاستغناء عنها ولا إهمالها.

ومن الجدير بالذكر أن الشخصية عانت في بعض مراحل الأدب العالمية نوعا من الإهمال والتهميش، **فقد كانت الشخصية في زمن أرسطو لا تمثل إلا ظلا للأحداث التي تقوم بها، فالمؤلف يهتم بالأحداث أولا ثم يختار الشخصيات التي تناسبها** [2] ،حتى صارت بهذا أشبه ب **كائن ورقي لا قيمة له، وساد هذا الاعتقاد عند الكتاب طيلة القرن التاسع عشر فالشخصية هي رسم ولا شيء دون ذلك** [3] فانصب اهتمامهم على الأحداث أكثر من اهتمامهم على الشخصية بحد ذاتها.

فالشخصية التي هي ابتكار الكاتب وصناعته خلقها لأجل أدوار مختلفة، فهي في الحقيقة تستند إلى شخصية واقعية، وتتكلم بلسانه **فالشخصية الحكائية علامة فقط على الشخصية الحقيقية، ونفهم من هذا أن الشخصية الحكائية تمثيل لشخصية حقيقة** [4] ومن هنا تبرز أهمية الكاتب ومدى مقدرته على مزج ما تخيله بأصله الواقعي، فهي ركيزة أساسية لا يستغني عنها الكاتب وأداة رئيسية هي عمدة الروائي.

ولنتفق أن الشخصية كانت ولازالت محورا أساسيا ولبنة مهمة في البناء الروائي، وهذا ما كشف عنه محمد علي سلامة حيث قال: **إن أهمية الشخصية في الرواية حتى وإن**

---

[1] إليزابيت بوين، الشخصية في صناعة الرواية، الآداب بيروت، سنة 1997 م، ص 33

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء- الزمن- الشخصية، ص 108

[3] عبد الوهاب الرقيق، في السرد دراسة تطبيقية، دار الحامي، تونس، ص 57

[4] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص 85

كان عن طريق تفسير مقولاتها، وقد تجلت أهميتها في الرواية بحيث ساهمت في تطور فن الرواية، عبر المذاهب الأدبية المختلفة وذلك تجلى من خلال رسم الشخصيات الروائية وبيان دورها في الحياة [1].

ويرجع grippy group هذا الاهتمام بالشخصية **بصعود قيمة الفرد في المجتمع، ورغبته في السيادة، أي مأساة ما سماه بالعبادة المفرطة للإنساني، وأصبحت كل عناصر السرد تعمل على إضاءة الشخصية، وإعطائها الحد الأقصى من البروز وفرض وجودها في جميع الأوضاع.** [2] فهو بهذا أضاء لنا جانب من سبب اهتمام النقاد والأدباء بالشخصية وبيَّنه لنا، ولا يُستغرب هذا الاهتمام **وهي المجال الواسع والحقل الخصب لتركز الأحداث، وبمقتضاها تتضح المعالم الداخلية للفرد، بواسطتها يمكن تعرية أي نقص وإظهار أي عيب يعيشه أفراد المجتمع** [3].

ومكمن السر في هاته الأهمية أنها **تكشف لكل واحد من الناس مظهرا من كينونته التي ما كانت لتكشف فيه لولا الاتصال الذي حدث عبر ذلك الوضع بعينه.**[4]

ومن أهمية الشخصية أنها مكون أساسي ومحور تدور حوله الأحداث فعليها يقوم **الحيز الروائي يخمد ويخرس إذ لم تسكنه هذه الكائنات الورقية العجيبة وهي الشخصيات**[5].

وقد اهتم علماء النفس بالشخصية من نوع آخر، ولم يكتفوا بوصف المظاهر الخارجية من منظور الراوي الخارجي، وإنما اتجهوا داخل الشخصية محاولين وصف نفسيتها

---

[1] محمد علي سلامة، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، دار الوفاء الإسكندرية مصر ط 1 سنة 2007 م ص 13

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 208

[3] عبد المالك مرتاض، " في نظرية الرواية " – بحث في تثنيات السرد –، ص 79

[4] المرجع نفسه، ص 79

[5] عبد المالك مرتاض في نظرية الرواية – بحث في تقنيات الكتابة الروائية –، ص 135

واستجلاء مشاعرها وتحليلها، وغالبا ما يتركوا للشخصية في هذا اللون من الروايات الحرية في التعبير عن نفسها، من منظورها الذاتي وتدمير الأنا [1].

وعلى الرغم من أهمية الشخصية إلا أن بعض النقاد قلل من شأنها ومنهم " توماشفسكي tomashevsky" إذ يراها ناتجا من البناء الجمالي للعمل الأدبي، وليست لأنها مكون اجتماعي نفسي، وتكشف مثل هذه الآراء عن السعي الشكلاني لتعرية الشخصية من صورتها الحياتية في النص الأدبي، وتحويلها إلى أنموذج بسيط يستمد قيمته من وحدة الأفعال التي تهبها القصة له [2].

فهذا التعدد في الآراء بين النقاد والأدباء راجع إلى صراع قائم بين هؤلاء وأولئك وبالتالي لا يمكن حصر موقف موحد للشخصية في الرواية الحديثة وهذا لا يقلل من شأن الشخصية بل **هي التي تكون واسعة العقد، بين جميع المشكلات الأخرى، حيث إنها هي التي تصطنع اللغة، وهي التي تبث أو تستقبل الحوار، وهي التي تصطنع المناجاة، وهي التي تصف معظم المناظر التي تستهويها، وهي التي تنجز الحدث، وهي التي تنهض بدور تقديم الصراع أو تنشيطه، من خلال سلوكها وأهدافها، وعواطفها وهي التي تعمر المكان وتتفاعل مع الزمن فتمنحه معنى جديد** [3].

وقد واكب عملية التحول الذي شهدته الشخصية الروائية عدد من الدراسات النقدية، كان أكثرها حداثة وتأثرا لتلك الدراسات النقدية التي تنظر للشخصية على أنها دليل له وجهان، دال ومدلول، دال من حيث اتخاذها عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها،

[1] حسن سالم هانري إسماعيل الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث: دراسة في البنية السردية، عمان، دار مكتبة حامد للنشر والتوزيع، ط 1، سنة 2014 م، ص 50

[2] فوزية لعيوس غازي الجابري " التحليل البنيوي للرواية العربية" عمان، ط1، 2011م، ص 309.

[3] غسان كفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي: صبيحة عودة زعرب، عمان، دار مجد الاوي، ط1 ،2006م، ص177.

ومدلول من حيث النتائج النهائي لمجموع ما يقال عنها عبر جمل متفرقة في النص، أو عبر تصريحاتها في القول والسلوك.[1]

ويرجع جورش لوكاتش [georg lukocs] أهمية الشخصية إلى تمكن مبدعها من الكشف عن الصلات العديدة بين ملامحها الفردية، وبين المسائل الموضوعية العامة، ومن قدرته على جعلها تعيش أشد قضايا العصر تجريدا، وكأنها قضاياها الفردية المصيرية، أي في تمثيلها للعالم كأنه أمر خاص بها، وإدغامها ما هو ذاتي بما هو عام موضوعي [2].

أما " ميخائيل باختين Mikhaïl Bakhtine فقد ركز على ما تمثله الشخصية في العالم، ولكن ما يمثله العالم بالنسبة للشخصية، وما تمثله الشخصية بالنسبة لنفسها، وهذا المبدأ الخاص قد أدى دورا هاما في كيفية فهم "باختين" للشخصيات [3].

وقد اعتبر رولان بارث Roland Barthe الشخصية بأنها كائن من ورق لا وجود لها خارج الكلمات، فقضية الشخصية كما يرى تودوروف Todorov قضية لسانية، وقد تعمد الروائي إخفاء الشخصية وتهميشها بهذه الصورة، لذا افتقدت الشخصية في الرواية الجديدة كل شيء حتى الاسم [4].

على أننا ننبه أن **الشخصية الروائية ينتجها المبدع من نسج خياله لغاية فنية ما، وهي ليست المؤلف الواقعي**. [5]

وقد استمدت البنيوية المعاصرة نضرتها للشخصية من مفهوم الوظائف في اللسانيات، فلم ينظروا إلى الكلمة في الجملة على أنها تحمل دلالات متعددة خارج سياقها، مما أدى إلى اهتمام الشكلانيين والبنياويين معا بصفاتها ومظاهرها الخارجية [1].

---

[1] حسن سالم هنري إسماعيل "الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث" دراسة في البنية السردية، ص 51.

[2] المرجع نفسه، ص 50

[3] حسن بحراوي " بنية الشكل الروائي" ص 208

[4] شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية الجديدة، دراسة نصية في آليات السرد وقراءات نصية، عمان مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط 1 ،2014م، ص69

[5] حسن بحراوي " بنية الشكل الروائي" ص 213

فالشخصية الروائية هي إبداع من الكاتب، يظهر به مدى تمكنه من الأدوات الأدبية فيقول جون ميشال آدم " jean Michael Adam" إن الشخصية تمثل المبدأ الأول في ائتلاف عناصر القصة وانسجامها [2].

فهنا الشخصية تعد المكون الأساسي في أي عمل سردي ،وعلى ضوء ما سبق بيانه لا تجد أيها القارئ أي وصف لأي حالة نفسية مهما كانت، فها هو السرد في هاته الحقبة يكتف بمنح الشخصية اسما بلا مسمى ،فلا تراه يسند إليها أي صفة عدى الاسمية وذلك حتى يتسنى لها أن توكل للشخصية الحداث والأفعال الضرورية لمسار الحكاية ،وقد أصبحت الأشكال السردية تقتضي أن تكون الأحداث التي تقوم بها الشخصية منسجمة مع طبيعتها النفسية والمزاجية، وبالتالي أصبحت فردا بل (شخصا)، أي كائن كامل التكوين وحتى وإن لم يقم بأي حدث ما، وهكذا تخلصت الشخصية من تبعيتها للحدث وتجسد فيها جوهر سيكولوجي[3].

وقد حاول الناقد الشكلاني ممثلا في " فلاديمير بروب Vladimir Propp" ونقد الدلالة ممثلا في أبحاث " غريماس greims "، تحديد هوية الشخصية في الحكي بشكل عام من خلال أفعالها، دون صرف النظر عن العلاقة التي تجمع بينها وبين مجموعة الشخصيات في العمل الروائي[4].

أما فيليب هامونph. Hammon يقول: الشخصية في الحكي، هي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص[5].

---

[1] حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط1 ،1991م، ص 52

[2] محمد يوسف نجم " فن القصة "، دار الثقافة بيروت لبنان ط 4 سنة 1963 م، ص 154

[3] المرجع نفسه ص 211

[4] حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 50.

[5] المرجع نفسه، ص 50

أما " بروب propp" واختزلها إلى أصناف بسيطة، تقوم على وحدة أفعال التي تستند إليها في السرد، وليس على جوهرها السيكولوجي، فقد اعتبرها عنصرا متغيرا وليست وسيلة لأداء الوظائف[1].

وقد اعتبر اللسانيون الشخصية الروائية مجموعة من الكلمات، وجردها "**تودوروف Todorov**" من محتواها الدلالي واقتصر على وظيفتها النحوية فقط، فجعلها بمثابة الفاعل في العبارة السردية، وهناك مصادر إخبارية ثلاثة لتحديد هوية الشخصية الحكائية ما يخبر به الراوي، ما يخبر به الشخصية بذاتها، ما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات.

وهنا يظهر الدور الإيجابي في تلقي النص، فلا يتشبث المتلقي بدلالة واحدة في قراءة الشخصية، بل قد توحي الشخصية بدلالات متعددة من خلال منظور القارئ ورؤيته[2].

ويجمل عبد المالك مرتاض المراحل التي مرت بها الشخصية في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة ازدهار الرواية التاريخية والرواية الاجتماعية، ظهر فيها الكاتب الفرنسي بلزاك وهوجو وإميل زولا والأدب الإنجليزي مثل ولترسكوت والأدب الروسي تولستوي والأدب الألماني كافكا والأدب العربي نجيب محفوظ في جميع الآداب حظيت الشخصية بمكانة هامة حيث كانت أساس العمل فقد كتب بلزاك حوالي تسعين رواية أقحم فيها أكثر من ألفي شخصية.

المرحلة الوسطى: تقع بين رواية الشخصية ورواية اللاشخصية أي مثلت مرحلة التشكيك والخصومة وفي هذه المرحلة حاول فيها البعض التقليل من أهميتها في الرواية.

[1] المرجع نفسه، ص 212.

[2] شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية الجديدة، دراسة نصية في آليات السرد وقراءات نصية، ص، 74

المرحلة الثالثة: والتي تعتبر فيها الشخصية أحد مكونات النص السردي، وتختلف عن شخصية الرواية التقليدية، وتعتبر هذه المرحلة هي مرحلة إنصاف للشخصية حيث أصبحت تعامل كبقية المكونات السردية الأخرى من زمان ومكان وحدث وغيرها [1].

[1] عبد الناصر مباركية، دراسات تطبيقية في الإبداع الروائي، دار النشر جيطلي، برج بوعريريج سنة 2011 م، ص 98

الفصل الثاني: معالم الشخصية في رواية كولونيل الزبربر

أ- الشخصيات الرئيسية وأبعادها:

يعدّ تنوّع الشخصيات من أهم الأسباب المحددة للأبعاد في أي رواية، ورواية الكولونيل زبربر للحبيب السائح من بين الروايات التي ضمت بين طياتها شخصيات عديدة اقتضت الدراسة تناولها، فاعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي وهذه الأبعاد تتلخص في البعد الجسمي الفسيولوجي، والبعد الاجتماعي السوسيولوجي، والبعد النفسي السيكولوجي والبعد الفكري، فكل شخصية من شخصيات الرواية سيتم تناولها في إطار هذه الأبعاد.

- 1 شخصية "طاوس":

تعدّ "الطاوس" شخصية رئيسية في الرواية، فلا تكاد تمر عليك صفحة من صفحاتها إلا وجدتها ماثلة أمامك، يصورها لنا الكاتب الحبيب السائح في هيئات متعددة وفي أنماط مختلفة، تتمحور حول أبعاد أربعة هي كالآتي:

البعد الاجتماعي:

لقد صوّر لنا الكاتب الحبيب السائح شخصية "الطاوس" فأبرز لنا أصلها العريق فذكر أنها من سلالة رجال دفعوا الغالي والنفيس في سبيل هذا الوطن العزيز، فها هي توضح لنا هذا فتقول: "**أُقفل إحساسي على صورة والدي –كولونيل الزبربر– كما يلقب في لحظة عكوفه على كمبيوتره فوق ركبتيه وقد انتظرت يومها أن يستدير إليَّ ولو مرة**"[1].

ولم يكتف الكاتب بهذا، بل راح يستعرض لنا شريط حياتها المليء بالمفاجئات، فذكر لنا المكان الذي اتخذت منه موطنا لها، سواء أكان هذا تحت ظرف العمل أم في إطار الزواج، وها هو مرة أخرى، يتكلم على لسانها، قائلا: "**ها إني هنا في بيتي في رقان مستلقية في السرير منتظرة عودة حكيم من مداومته الليلية، يعمر سمعي مرة أخرى" كونوا أنتم كونوا ، لهذه الأرض، هؤلاء الرجال**

[1] الحبيب السائح: كولونيل زبربر، دار الساقي بيروت لبنان ط 01 سنة 2015 م ، ص 13

الذين يحفظون الشرف" أقفل إحساسي على صورة والدي_ كولونيل الزبربر، كما يلقب، في لحظة عكوفه على كمبيوتره فوق ركبتيه، وقد انتظرت يومها أن يستدير إليَّ ولو مرة .[1]

استطرد الكاتب في وصف هذا الموطن الذي عاشت في كنفه "الطاوس"، وراح يصف لنا بعض الأسباب الذي أدت بها إلى المكوث في رقان، والبقاء فيها، فقال: "**هنا في رقان كنت فتحت الملف ليس لأنه كان عليَّ أن أحضر عودتي، فأجلت المسألة ولكن لأني لم أكن أملك الشجاعة على أن أفعل ذلك في حضرة الوالد – الكولونيل زبربر– هنالك في الجزائر فظله كان يحفل به أدنى ركن في بيتنا. كنت أشعر أني لن أستطيع أن أرفع إليه عيني فأجده بمثل هذا واجهني" أجل، أنا هو ذاك الوالد الآخر ". فقد قدرت أن أخذ تلك المسافة يحفظ لبوحه كل لذته. فتحت الملف برعشة أحسستها لجزيئات رمل منفوثة من فم عاصفة أصابت بشرة جسدي"**[2]. إن هذه الهيبة التي تنتاب "الطاوس" ، إنما هي من ثقل المسؤولية التي في ذلك الملف، إنها ذاكرة مسكوت عنها أو بعبارة أدق إنها مأساة المحارب وخيباته، بين قتل الأمس وطعن اليوم، فالكاتب بهذه الفقرة وغيرها، يرسم لنا مدى الاحترام الذي كانت تكنه طاوس لوالدها، ومدى تعلقها به ومدى الاستقرار الذي كان عليه ذلك البيت والهدوء الذي يشع منه.

لا يزال الكاتب يوضح لنا هاته الشخصية الرئيسية، فذكر لنا منصبها، ومهنتها، وأنها طبيبة تعتني بالأطفال، فذكر هذا قائلا: " **أولى في عتبة الدار عشية نجاحي في مسابقة الإقامة للتخصص في طب الأطفال"**[3]. إن هذه المهنة التي عملتها "الطاوس" مكنتها بَعْدُ من تحمل المسؤولية العظيمة، فالذين يرسمون البسمة في وجوه الغير هم وحدهم من يستطيعون فهم أحزانهم.

ولا يزال الكاتب يفسر العلاقة بين "الطاوس" ووالدها، هذه العلاقة التي كانت مبنية على قدر كبير من الاحترام والتقدير فها هو يورثها ميراثا ثقيلا فالرجال تُوَرث تاريخا والبقية يورثون حطاما، هذا الإرث الذي فيه من بقع دم الغدر والخيانة ما فيه، ومن الأمور التي كانت إلى حدّ قريب خطا

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 13

[2] المصدر نفسه، ص 17

[3] المصدر نفسه، ص 14

أحمر لا يُتجاوز ها هو يقع بين يدي "الطاوس" ، وها هي تصف لنا الحادثة قائلة: " **من الشرفة إذا، كنت أرسل نظراتي بحنين شاج على الكرسي الطويل ينوا إلى فراغه لما تناهى إليَّ "طاوس، تعالي!" فسارعت أنزل، متوقعة أنه سيقول لي إنه كان يعرف أني كنت أرقبه من الشرفة. وجدته في المكتبة واقفا ينتظرني. رازني بعتاب عابر كأني تأخرت عنه سلمني بشماله مفتاح ﴿فلاش ديسك﴾ نطق" تجدين فيه ملفا واحدا مهما "وتبسم" ذلك ما يمكن أن ترثيه مني "وأمال عينيه نحو الكمبيوتر" أفرغته"! ثم تبسم بسمة أطول غسلت مخه ووضعه على سطح المكتب. كنت أستطيع أن أرى ثلاث صور فوقه أمي باية الهائلة الشباب، شقيقي ياسين بهدوء البحر وأنا كما أحببت أن يراني هو الوالد – كولونيل زبربر –**"[1].

لن يتردد القارئ للرواية في الحكم بأن "الطاوس" كانت شخصية محببة إلى جميع أفراد العائلة، وها هو الكاتب يسطر موقفا آخر يشكل التآزر بين أفراد العائلة فقال: " **أخذ شمالي في يمينه" طاوس، غدا ترافقيني أنت وحكيم إلى أكاديمية شرشال". ملت برأسي على كتفه تثقلني الغبطة. سألني:" هل أنت سعيدة؟ "نطقت، بلا تردد" جدا، يا بابا! "لأني تذكرت أني كنت أجبته بثقة طمأنت عينيه الوجلتين." حتى ولو لم يتخصص مثلي، لظروفه العائلية، فهو من أحسن زملاء دفعته في الطب العام، فإن حكيم، بعد أن فقد والده منصب عمله في شركة وطنية، لإفلاسها، اضطر إلى الانقطاع للعمل كي يتكفل بأسرته إلى أن وضف أخوه البكر** ".[2]إنها تتصف بنفسية متزنة، وهذا ما جعلها محل ثقة بين أفراد العائلة الكريمة.

- **البعد النفسي:**

لقد أبدع الكاتب في رسم شخصية "الطاوس" من حيث البعد النفسي، فها هو يوضح لنا جانبا مما يمس أحاسيسها ومشاعرها، فهي مرة ضاحكة، ومرة باكية، ومرة مبتسمة وأخرى عابسة، وإن كان الغوص في زوايا النفس البشرية والكشف عنها صعب، إلا أن الكاتب فسر كل هذا وأكثر،

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 16

[2] المصدر نفسه: ص 16

فها هو يرسم لنا لوحة من لوحاته فيقول على لسان الشخصية: " **فمن نافذة السيارة كنت نظرت بدمعتين إلى والدي، كأنه جدي في برنوسه الوبري فارسًا هماما نزل للتو من على حصانه وبجانبه العمة ملوكة كان ياسين في بدلة زرقاء ليلية أعطى ضاحكا إشارة انطلاق الموكب بطلقتين من مسدسه وركب سيارته**"[1]. لم تكن هاته الدموع حزنا بل كانت امتزاجا من خوف وأسى وفرحة وحبور، إنها تنتقل من مرحلة في حياتها إلى أخرى، إنه مشهد جمع بين أفراد عديدة من العائلة الأب والعمة والزوج.

ولأن المصائب لا تأتي فرادى، فها هي المنية تختطف ياسين بيد غادرة ورصاصة فاجرة ولا تجد "الطاوس" عزاءها في هذا الفقد ما يسليها. وها هي تصف كل هذا فتقول: " **لا أجد وصفا لقلبي المعذب على فقد شقيقي ياسين، كما كلما تذكرته، سوى إحساسي أنه أخرج من صدري وألقي في لهيب جمر. والله وحده، كما أشعر يعلم الذي لا يزال والدي المكابر يكظمه تجاه محنته في شقيقي، كما الذي كابدته أمي**".[2]

إذا كان المشهد السابق جمع قدرا كبيرا من أفراد العائلة، فإن هذا المشهد اشتمل على شخص واحد شغل حيزا كبيرا، كيف لا، ومكانته تطغى على غيره، إنه الوالد فها هو يصف لنا هذا قائلا: " **كان يستشعرني. كان يشمني أعلم ذلك بالحدس إني نطفته. أما رائحته هو فلم تبرح مشمي منذ كان ضمني مرة ثالثة إلى صدره صباح سفري الأول إلى الصحراء قبل ستة سنين هامسا لي في أذني طاوس فحلتي! لن أخاف عليك**"[3]. إنه إحساس الأبوة شعور بالأمان بين يدين تدرك جيدا أنك لن تتأذى منهما، إن شعور الأمان هذا، لم يتولد من فراغ إنه وليد حياة حافلة بالاهتمام، فالأب الذي كان يحمل البندقية في يد مدافعا عن أرض وأهل ومبدأ كان يحمل باليد الأخرى كل معاني الحنو والاهتمام اتجاه زوجة حبيبة وابنة محبوبة.

---

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، 14 – 15

[2] المصدر نفسه ص 15

[3] المصدر نفسه، ص 14

إن شخصية "الطاوس" رائعة فهي لؤلؤة والدها وعقده الثمين، لطالما أحبها وافتخر بها وهذه الحقيقة باح بها الوالد قائلا: **"أنت فخر لأب مثلي أهنيك يا صغيرتي مسار دراسي استثنائي حقا وثانية يوم خروجي من البيت عروسا نعم، فلتة من باية أنت أجمل فتاة يحبها أب في هذه الدنيا"**[1]. إن الشيء الفريد في هاذين الموقفين هو تلك العاطفة التي كانت من الأب نحو ابنته إنه امتنان وإحسان.

إن أحاسيس الامتنان التي كانت تكنها "الطاوس" لأبيها كانت فريدة من نوعها ومتميزة في تنوعها، فلم تكن وحدها من تربطها بأبيها روابط من حرير فها هو أخوها ياسين يبادل أباه نفس الأحاسيس **"فبدموعي كنت قبلته أنا وياسين أثمن ما يمكن لك أن تهدي هذه الأرض إيه شكرا لك يا بابا جلال السخي وشكرا لباية مامانا الحبيبة"**[2]. إن الدموع التي تسكب لأجل الوالدين دموع غالية لا تقدر بثمن، وسواء أكانت دموع فرح أم حزن، فهي أغلى من ماء الذهب.

لم يكتف الكاتب بذكر نوع واحد من الأحاسيس بل نوَّع منها، فبعد أن صور لنا مشاعر المحبة والامتنان ها هو يرسم لنا لوحة أخرى وشعور مغايرا" **للحقيقة فإني فتحت ملفين، كان الثاني يحمل هذا التنبيه" تصورت دائما أني تركت جمجمتي ورائي في جبل الزبربر فعثر عليها شاعر" راس ابن آدم "فكلمها. كنت، وأنا أسجل ما قد تقرئينه أستمع لصوت البار عْمَر الملوع بحرقة سؤال الموت عن الحياة أعرف أنك ستقرنين القراءة بالسماع"**[3]. هل كان الوالد خائفا؟ لا أظن هذا إن رجلا عاش دهرا من حياته بين الجبال والقنابل لن يروعه مثل هذا، لكنه إحساس يخالج النفس إنه أشبه ما يكون بلحظة تردد قبل الإقدام أو لحظة ندم بعد الانتهاء.

يحسب للكاتب تفننه في وصف الأحاسيس وقدرته على تنويعها والكشف عنها وإضاءة الزوايا المعتمة فيها، ولو لم يكن له إلا هذا المقطع لاستحق عليه التقدير؛ إذ يقول: **"ليست فحسب مسؤولية كنت أحسها أمانة أن أنزل الملف بارتباك بهشاشة وبخشية أيضا، ليكون شهادة على ما**

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 14

[2] المصدر نفسه، ص 14

[3] المصدر نفسه، ص 17

نهبته من تاريخ رجال الشرف انانيات الساسة وزحزحتْه حساباتهم إلى عراء النسيان. فها ذاكرتي، كما جيلي بأكمله، تلطخه حماقاتهم المتعاقبة منذ خمسين عاما. كبخار، تحول هيئة بشرية كما في أي خرافة تمثل لي الكولونيل الزبربر من بين الكلمات فملأ عليَّ شاشة حاسوبي لم أستعد ومن خلف شبحه، سمعته. هو صوته، صوتي أنا صوت من يشعر بنفسه في غيهب تاريخه المنسي. أحسست ذاتي راحت تتوارى هنالك بعيدا بعيدا. " [1]لم تكن وحدها "الطاوس" من ذهبت بعيدا بل كل من قرأ هذا المقطع، يرحل بإحساسه، ولن يتمالك نفسه إلا ودمعة كقطرة الندى ترتسم في عينيه، كل من له غيرة على هذا الوطن وأولئك الشرفاء، إنه مقطع يستحق القراءة أكثر من مرة لأنه مقطع لا يقبل النسيان لحقيقة لا تقبل التغيير.

لم تكن العلاقة بين "الطاوس" وزوجها حكيم تلك العلاقة العابرة أو الباردة فها هي تفضي له بموافقتها على بعض ما كان يجول في نفسه، ولا تتوقف عند هذا الحد بل تذهب أبعد من هذا فتسمع كلماته حتى وهو صامت، إنه مزيج من المودة والتوافق وها هو الحبيب السائح يسطر لنا كل هذا فيقول: " **كنت أحس كلمات حكيم الأخرى، التي لم ينطقها مرة على لسانه قلت له فحسب" إن لم يكن الرصاص قد قتل الوالد فهذه العزلة هي التي ستدمره"**[2].

إن رجلا مثل مولاي بوزقزة قضى أكثر وقته في الجبال، من الجميل رؤيته مبتسما ضاحكا: وهاهي "الطاوس" تتسبب في إدخال شيء من الابتسامة على وجهه في لوحة رسم الكاتب أجزاءها قائلا: " **أتخيل جدي رأى، من غير مرآة، بريق سعادة غمر وجهه، كذاك الذي رأيته منه قبل عشرة أعوام، يوم سبقت أمي باية ووالدي جلال وفاجأته بالدخول عليه في صالة بيته، هنالك في الحاكمية، حاملة له باقة ورد من جنينتنا! "**[3].

- **البعد الفيسيولوجي [المادي أو العضوي]:**

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 18

[2] المصدر نفسه، ص 16

[3] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 141

إن تناول الحبيب السائح لشخصية "الطاوس" في الجانب الجسمي لم يكن بالكَمِّ الكبير الذي كان عليه في الجانب النفسي، لكنه وبكلمات قلائل استطاع أن يصف لنا الطاوس **"ففي صبيحة الخامس جويلية 1962، وقد شارف الابن جلال الذي سيصبح والدي، الإثني عشر عاما كان مولاي الحضري الأب الذي سأكون حفيدته، رجع إلى البيت العائلي في قرية الحاكمية غير بعيدة عن مدينة سور الغزلان (أومال، سابقا) بكنية بوزقزة"**[1]. فهو لم يكتف بوصف سطحي لها بل ذهب أبعد من هذا حين راح يصف البيت والأهل ويذكر حتى تاريخ الميلاد.

- **البعد الفكري:**

لم ترث "الطاوس" من والدها وجدها مجد العائلة الذي صِيغَ بالدم والهم بل ورثت منهم قناعات وإرادات وإرث جيلين، وهذا الإحساس بالمسؤولية لم يكد يفارق "الطاوس" وها هي تتفوه بكل هذا فتقول: **" من أين لي أنا، وريثة الهم والدم والفخر أيضا، أن أفك خيوط هذا التشابك كله؟ كيف يمكن خرق هذا الصمت الصخري عن تلك الملابسات الفعلية والحقيقية، ولو كانت مؤلمة، ولو كانت مخجلة! "**[2].

كان لتلك الكلمات وقع كبير على نفسية "الطاوس". إن لها أثرا على نفسية كل من قرأها، فما بالك بشخصية مثل "الطاوس" مرهفة الحس رقيقة الشعور، وها هي هذه الكلمات تخلف وقعا عليها فذكرت كل هذا قائلة: **" متراجعة بظهري، إني فوق كرسي أمام طاولة المطبخ. شابكة يدي خلف رأسي، ها أنا أستمع لنفسي تندب لي بطعم المرارة في ريقي إني لم أقرأ عن تلك الأحداث في مقرر دراسي خلال مساري كله، ولا كنت شاهدت صورا منها أو طالعت عنها في وسيلة إعلامية رسمية، إلا هذا التخمين وذاك من متورط فيها، أو هذا الريبرتاج وذاك من قناة بث متحيزة: أن يوجه أسلحتهم إلى صدور بعضهم بعضا في صبح الاستقلال أمسا جنبا إلى جنب يقاتلون عدوا مشتركا".**[3]

---

[1] المصدر نفسه، ص 18

[2] المصدر نفسه، ص 129

[3] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر: ص 171

لم يكن لرجل مثل مولاي بوزقزة أن يتحدث عن نفسه، إنه رجل عرف أن فضله إنما صنع بسواعد رجاله، ولم يكن للطاوس أن تتردد في إدراك هذا إنها أشبه بقناعة ترسخت بالوقائع والأحداث، ولم يكن للحبيب السائح إلا أن يسطر هذا قائلا: " **مهمومة بحيرتي، مثل والدي بلا شك، فيما جعل جدي يتجنب أن يمجد شيئا من فعله هو، ها أنا أسمع صدى قوله يتلاشى في أعماقي" آخرون، ضحايا العدوان استمر قرنا وإثنين وثلاثين عاما، هم الأحق بذلك** "[1].

ولم يكتف الحبيب السائح بذكر هذه الحقيقة التي أصبحت أشبه بوسام على كتف كل أفراد العائلة، وهاهو يكرر ذكر هذا، فيقول: " **ومثل توهم، مجرد توهم لا يرقى إلى قناعة، يداهمه الآن بأنه الوحيد من حطه القدر لينشغل بمآل هذه الحرب خشية أن يخسرها، أكثر مما ينشغل به الضباط الآخرون والقادة. بل، إنه يجده إحساسا ظالما مغريا بالكفاية" لعني متعب. فمتى كنت أنا لولا هؤلاء الجنود!** "[2].

2 – شخصية كولونيل الزبربر:

تعدّ شخصية " كولونيل الزبربر " من أهم الشخصيات في رواية الحبيب السائح، ولهذا فإنه أكثر من ذكره في الرواية في أكثر من صفحة.

- **البعد الاجتماعي:**

لقد أبدع الكاتب في وصفه ل "كولونيل الزبربر " ، وأظهر لنا كيف كان يتفقد أصدقاءه وأحبابه فقال: "**ففي الفراغ القاسي، هنا في الجنينة، تعيد الآن كولونيل الزبربر من سرحانه، في تذكاراته العائلية، طلقات الألعاب النارية الكثيفة القوية المتقاربة المتباعدة المتقطعة الوتيرة بانفجارات المفرقعات والشماريخ الذاوية هناك بعيدا في سماء الخامس جويلية، سرادقا لخيبته الصامتة، صدى لأصوات الرصاص الحي متداخلة في ذهنه، كما يقول بطقطقات نار الكانون، التي في البيت الريفي هنالك في الحاكمية، كان على وهجها عاود قراءة وثيقة استدعائه إلى مدرسة أشبال الثورة فتنهد حنينا حتى قبل أن يغادر**".[3]

[1] المصدر نفسه، ص 181

[2] المصدر نفسه 104

[3] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 251

لم يكن "كولونيل الزبربر" قائدا متعجرفا، بل كان يفتقد كل من رفع السلاح معه يوما ثم مات أو اغتيل، وهذا أمر كرره الكاتب في أكثر من موضع فقال: **"في يوم كهذا من الخامس جويلية يجلس فيه كولونيل زبربر وحيدا. ها هو يتذكر أنه في تلك اللحظة نفسها صعق ذهنه ومض من وجه العقيد شعباني، لحظة بددتها نقرات الفرقة النحاسية على الطبول. وليلا في فضاء طلق، خارج الخيمة، على سرير ميدان، في مهب ريح من الشرقي خف لفحها، رسمت له النجوم بين الدبين أو هكذا تخيل قبعة العقيد شعباني، فتشكلت له خطوط وجهه الهادئ".**[1]

هذه الذهنية الحربية المتقدة التي كان يتصف بها مولاي لم تكن وليدة الصدفة، بل إن للماضي العسكري ل "كولونيل الزبربر" دورا في هذا، فلا ننسى أنه وكما قالت عنه الطاوس: **" كان والدي جلال دخل مدرسة أشبال الثورة"**[2].

ولهذا فإنه عندما ذهب بابنه ليواصل المسار الذي خطه لنفسه" **يومذاك، ادخر الأب مولاي ما كان سيقوله لابنه جلال إلى مناسبة نجاحه في البكالوريا ليلتحق بأكاديمية شرشال لمختلف الأسلحة" أردت لك أن تكون من خيرة أبناء الذين حرروا الجزائر"، فأحس نفسه قد حوَّم مثل باز يستعرض رشاقته، كذلك كان قال لباية من بين ما كان حدّثها به نفسه، في نهاية حملة التطوع الصيفية تلك إذ رجع بها إلى بيت أهلها يسوق بنفسه سيارة الإدارة المحلية".**[3]

لقد حضي "كولونيل الزبربر" بجنود ذوي حس عال وأهداف نبيلة ومقدرة عالية، فكانوا حصنه وكان ذراعهم. رجال كانوا مثل قائدهم لا يهابون الموت ولا يخشون المواجهة، ولقد وصفهم الكاتب فقال: **" في تلك الظروف، يمكن لك أن ترى، من حول ضابط مثل كولونيل الزبربر، جنودا مدربين جنودا يتحملون المشي ليل نهار كيفما كانت التضاريس والمسافات والاتجاهات والأجواء، يباغتون العدو، يفرضون الحصار، يسدون منافذ التسلل، ما يشعرك أنك مع رجال فوق القدرة البشرية، لا ينامون إلا لحظات، لا يأكلون إلا قليلا، مستعدين للقتال في كل حين، يضربون بقوة، بلا شفقة، لا يحركهم أي حقد، اختارهم من تعداد فصيلته الخامسة وقسمهم أربعة**

[1] المصدر نفسه، ص 271

[2] المصدر نفسه، ص 20

[3] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 209

أفواج من خمسة جنود في ألبسة التماهي مع ألوان الغابة، مسلحين برشاشات خفيفة ومسدسات كاتمة وقنابل يدوية وخناجر ميدانية، على ظهورهم محمولات طعام وشراب لمدة قصيرة، مزودين بأجهزة الاتصال الفردية و الرؤية الليلية بأشعة تحت الحمراء"[1].

ولهذا فإنه من المحزن فقد أحدهم، فلا عزاء يسلي عن فقدهم إلا الأخذ بأرواح من تسبب في موتهم قال الكاتب: **" في ساحة الثكنة، ها هو يستعرض توابيتهم مسجّاةً بالأعلام قبل شحنهم متفرقين إلى أهاليهم هنا وهناك في أدنى مدينة في أقصى قرية، يصدر الإيعاز. تدوي طلقات التحية الإحدى والعشرون. بينه وبين نفسه، وهو مستعد" أقسم بأرواحكم، ما بقيت حيا، على أن تعاقب اليد التي امتدت إليكم ".[2]**

–البعد النفسي:

إنه الولاء والإخلاص أصدق شعور يمر على الشخصية الإنسانية، وهو بالضبط ما كان يشعر به " كولونيل الزبربر " تجاه صديق عمره العقيد شعباني، وفي هذا الصدد يقول الكاتب: **"كنت لما حدثت باية هنا في الجنينة قلت لها إن أنا مت يومًا فلبعض الحزن أيضا على إعدام عقيد حرب تحرير بيد إخوة له، عمره ثلاثون سنة ". تقول "شعباني راح ضحية لأخطاء الاستقلال ". يهز رأسه "ولنزوع الاستحواذ على السلطة دون اقتسام، أيضا، ولأسباب أخرى أكثر خطورة سيعرّيها التاريخ"[3].**

إن الصرامة والانضباط التي عاش في وسطها " كولونيل الزبربر " لم تصنع منه رجلا قاسيا بل بالعكس جعلته يقدر المحبين ويخلص لهم، وعلى رأسهم زوجته وعن طبيعة العلاقة بينهما يقول الكاتب: **" قويا كان حب مولاي ورقية بعضهما بعضا، قوة حب كولونيل الزبربر باية بل أكثر استحكاما وأشد وفاءً"[4].**

---

[1] المصدر نفسه، ص 225

[2] المصدر نفسه، ص 224 – 225

[3] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، 272

[4] المصدر السابق، ص 36

ولأن لحظات الفرح سريعة الانقضاء فلابد من توثيقها، وهاهو الكتب يسرد لنا مظهرا من مظاهر السعادة والفرح فيقول: " **كان من سيصير والدي دخل حجرة الحجبة صيف 1956 وركن المكحلة نفسها بعد الطلقة الأخيرة تلك الليلة، منتصبا أمامها في برنوس أبيض، برنوس الجد السي مهاجي، تمثلت مولاي لرقية طيفا أشبه حقيقة رجل تماما، كما في حلمها مذ خطبها. انتظرته، على ما غادرتها عليه أمها لالة غنية والوزيرة ملوكة بعد أن هيأتاها لما كان الزمان سينقشه وشما في ذاكرتها جالسة التربيعة وسط فراشها المخملي باية ستكون في قميجة دخلتها من الحرير الأبيض، لا سواها محفوفة بسبعة شموع سورا من نور هي الفتنة وسطه، مطلقة الشعر على خديها وكتفيها مسوَّكة الشفتين مبسوطة المعصمين على ركبتيها المعقوفتين إلى الداخل**"[1].

ولأن الحياة لا تدوم على نسق واحد، فهاهو الموت يخطف زوجة "كولونيل الزبربر " ليدخله في دوامة من الحزن، حزن يجعل من الإنسان شخصا فارغا فراغ يحس به أقرب الناس إليه فتقول الطاوس: "**كنت أحس كلمات حكيم الأخرى، التي لم ينطقها مرة على لسانه، قلت له فحسب" إن لم يكن الرصاص قد قتل الوالد فهذه العزلة هي التي ستدمره.** " [2]

هذه الوحدة التي نشأة من موت أقرب الناس كيف يمكن مقاومته لن يجد مولاي غير الكتابة، في طقس متكرر هربا من الوحدة، وقد وصفت لنا طاوس هذا المشهد حين قالت: "**كان يسكن قلبي يقين أنه يحسني في ظهره فمن شرفة الغرفة المطلة على الجنينة كنت أتابعه بحنين غامض كان بين حين وحين يتوقف عن الرقن ويلقي برأسه إلى الخلف في اتجاهي. ذلك، كان أمسى لديه شبه صلاة موقوت منذ أيام، منذ عودتي من رقان في نهاية شهر جويلية الماضي لعطلة، ولابد من قبل أيضا، مذ فقد أمي. كان يكتب مقاومة لفراغ يحاصره يستنزفه. إني واثقة من الأمر**"[3].

- **البعد الفيسيولوجي [المادي أو العضوي]:**

[1] المصدر السابق، ص 32

[2] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص15

[3] المصدر السابق، ص 13

لن تجد وأنت تقلب صفحات الرواية وصفا دقيقا للبنية المورفولوجية ل "كولونيل الزبربر " لكنك ستجد أنه: " **في صبيحة الخامس جويلية 1962، وقد شارف الابن جلال، الذي سيصبح والدي، الإثني عشر عاما**"[1].

وفي وصف آخر من الكاتب ل "كولونيل الزبربر " يقول الكاتب أنه: "**كان من بين مائتين من الأطفال ذوي العاشرة والرابعة عشر من العمر من أبناء الشهداء وجنود جيش التحرير الذين التحقوا لأول مرة بمدرسة أشبال الثورة**". [2]

- **البعد الفكري:**

لقد عاش "كولونيل الزبربر " بين الرصاص والكمائن وهذا ما أكسبه هذا اللقب، لم يكن من المتهاونين في قتال الاستعمار ولا من أولئك الذين باعوا القضية في آخر نفس، فقال الكاتب: " **لقب الكولونيل زبربر، رتبة سامية رقي إليها قبل ستة أعوام بذلك النعت ليس نسبة إلى لقبنا العائلي ولكن، كما أشاع ذلك عنه جنود فصيلته وسجله الجنرال نعيم رزاز ذاته في تقريره، لكونه " أول من اخترق حواجز الجماعات المسلحة ونصب لها الكمائن وفكك أسيجة ألغامها المزروعة واخترق تحصيناتها في جبل الزبربر وقاومها بكفاءة قتالية فاستحق بشرف رتبة مقدم وقبلها رائد**"[3].

ولأنه شخص ذو مبادئ فلم يكن من السهل عليه أن يتجرع الأخطاء الكارثية، ولا النفاق السياسي، فقال: "**سيتبادلون جميعا كالعادة تحيات النفاق وابتسامات المكر. وسينهالون، إلا قليل منهم، على صينيات المشوي كالكواسر الضارية. وفي زوايا" قصر الشعب "يعقد بعضهم حلقات ترتيب عمليات النهب الجديدة. أعرف ذلك، أعرف**" [4].

ولم يكن "كولونيل الزبربر " ممن يعتقد أمرا ثم يكتمه في نفسه خشية أحد، بل هاهو يصرح بما يعتقده أمام وزير، فيقول له: " **وأشد من ذلك في لحظات إرهاقه حتى المشارفة على الانهيار**

---

[1] المصدر السابق، ص 18

[2] المصدر السابق، ص 205

[3] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 20

[4] المصدر نفسه، ص 37

جراء ما اعتبره، لوزير ذي حقيبة سيادية على هامش اجتماع أمني، استهتارا من الساسة" تسببتم في نشوب نار أزمة أمنية ثم تخليتم عن إطفائها لنفعل نحن ذلك بدمائنا"، لأنه كان تذرَّع له" حضرات، لم نكن نتوقع أن الأمر سيفلت إلى درجة المواجهة المسلحة. الجمهورية مهددة. "فلم يدخل له أي لياقة" في الوقت الذي تدفعنا فيه سياستكم من ظهورنا دروع لكم، تبقون أنتم آمنين على أنفسكم وأهليكم ومصالحكم متأهبين لترك البلد لمصيره"– فإن الجنرال نعيم رزاز كان قد سلم الكولونيل الزبربر قوائم، من خانة السري. بأسماء ضباط متقاعدين ومن مزدوجي الجنسية من وزراء ومن موظفين سامين ممن اشتروا العقارات في أوربا، وأرسلوا أبنائهم هناك وحجزوا على الخطوط الجوية تأهبا للمغادرة وقال له" ليس للجزائر غيري وغيرك ومن ليس لهم وطن غيرها ".[1]

مثل هاته النقاشات، كانت كثيرة من قبل " كولونيل الزبربر " ، فهاهو الكاتب يذكرها في موضع آخر فيقول:

- **(رائد البحرية عمر راوي راح ضحية لمقتضيات الدولة، بفعل تورطه مع العميل الفرنسي برنان لإدخال شحنة أسلحة موجهة للجماعات المسلحة.**
- **كان يمكن أن يحاكم**
- **لا أحد كان يضمن ألا ينطق بأسماء الضالعين معه.**
- **ولماذا أبقي على العميل الفرنسي**
- **لمبادلته.**
- **لا شيء كان يدل على أن عمر راوي يفعل ذلك. كان أحد رفاقك في المدرسة وظل رفيقا لك أكل ملحنا.**
- **كان، كان قبل أن يثير شكوكي بهوسه بالحياة الرغدة. سبق له أن أشرف على إدخال ممنوعات وعلى تمريرها نحو البحر**

[1] المصدر السابق، ص 38

– والذين يبيعون خلسة شحنات البترول والغاز في عرض البحر أو يقايضونها بالمشروبات الروحية والأجبان والألبسة وموود الزينة والزخارف؟ وأصحاب الحاويات الذين يغرقون السوق بمحتوياتها من غير دفع دينار واحد ضريبة للخزينة العمومية؟ والذين يحوّلون إلى الخارج حقائب العملة الصعبة عبر المطارات تحت غطاء الحصانة الدبلوماسية أو البرلمانية؟

– لك أن تتصوري القضاء مستقلا والصحافة حرة وقطاع الجمارك بغير لباسه الوسخ لتجدي الإجابة. فكثير من متاعب رجال الأمن والجيش النزهاء كانت ستخفف. وكان المواطنون سيستعيدون بعض ثقتهم في مؤسسات دولتهم التي ينخرها الفساد) [1].

– 3 شخصية مولاي الحضري:

تعدّ شخصية " مولاي الحضري " من بين الشخصيات الرئيسية في الرواية، استعان بها الكاتب في عمله هذا وإنه من الممتع دراسة هاته الشخصية في ضوء الأبعاد السابقة الذكر.

– البعد الاجتماعي:

إن الحديث عن البعد الاجتماعي لشخصية " مولاي الحضري " في رواية الكولونيل الزبربر كان متنوعا نظرا لأهمية الشخصية، من جهة ولمكانتها من جهة أخرى فذكر الكاتب نبذة عنه قائلا على لسان حفيدته: **" كان مولاي الحضري الأب الذي سأصير حفيدته، رجع إلى البيت العائلي في قرية الحاكمية غير البعيدة عن سور الغزلان (أومال، سابقا) بكنية بوزقزة كنية، صرت أعرف أن جدي قلد إياها خلال حرب التحرير نسبة إلى الجبل الصخري ذي اللون الأزرق: زقزة، كما في اللغة الأمازيغية ثمة، في مرتفعاته، كان حقق، ضمن" الكوموندو عز الدين" وكتائب الولاية الرابعة نصرا فائقا على مظليي الجيش الاستعماري في شهر أوت 1957"** [2]. يوضح الكاتب في هاته الفقرة سر الكنية التي صارت تلازم مولاي الحضري، فهو بهذا لا يقتصر على ذكر أمور سطحية عبثية بل يذهب بوصفه إلى ما هو أعمق من ذلك، ولقد كان لمولاي الحضري من كنيته أوفر الحظ والنصيب فقد كان رجلا بأتم معنى الكلمة عاش من أجل المبدأ ومات مناصرا له.

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 40 -41

[2] المرجع نفسه، ص 18 – 19

إن ما امتاز به " مولاي الحضري " أهله ليكون من خيرة من انجبه هذا الوطن العزيز، فها هو يترقى من رتبة إلى أخرى، ولن يجد الكاتب أفضل من الحفيدة المحبة ليسرد علينا هذا فيقول: **"فإن الجد مولاي بوزقزة، اختير من الولاية الثالثة ليكون ضمن" الكوموندو عز الدين" في تلك المعركة، ليعود بعدها مرة أخرى إلى الولاية الثالثة نفسها برتبة ملازم أول بتذكارات كان لابد لها لون الدماء التي امتزجت بزرقة تلك الصخور"**[1]. تذكارات الرجال كذكرياتهم ممزوجة بالدماء ومرقعة ببقايا الأشلاء، وتذكارات أشباه الرجال ترصع بالجوهر والماس فرجال الأمس دافعوا بنبل عن هذا الوطن الغالي ومنهم مولاي، بينما حصد غيرهم الغلة إنها الحروب يفجرها الأشراف ويحصد ثمارها المنتهزون.

إن الحس القتالي لهؤلاء الرجال يظل ملازما لهم حتى في أحلك الحالات، وعن حياة " مولاي الحضري " العسكرية، يقول الكاتب: **"إنه ينصت، وسط ظلمة الكازمة، لقرقعة قلقه. إنه لا يذكر أنه نام عميقا ساعة واحدة حتى في هذا الفراش أو ذاك، عند هذا الفلاح أو ذاك أحيانا، مثل جنوده، لا يفترشون في الجبل غالبا غير التراب وأوراق الشجر والتبن، ولا يتوسدون غير الحجر وقطع الجذوع، إذ دهمهم جوع، وقد نفذ خبزهم اليابس، عوضوه بالبلوط، وإن ناموا فعلى عين واحدة، كما تفعل حيوانات ليلية تعرفهم ويعرفونها"**[2]. لم يكن هؤلاء الأشاوس ينامون لأنهم في صدد الدفاع عن مبدأ عظيم ووطن غالي ونفيس.

ولأن الإنسان كائن اجتماعي لا يمكنه العيش بمفرده ولا السير في درب لوحده، أبرز لنا الكاتب جانبا من حياة " مولاي الحضري " الاجتماعي، إنه الجانب المزهر في حياته حيث يجتمع برفيقة دربه في القفص الذهبي في مشهد يبعث على التأمل طويلا فيقول: **" أصوات الزغاريد الغامرة تأتي من صيف تلك الليلة المقمرة المتنفسة عبير الحصاد زغاريد الدخلة قبل إثنين وخمسين عاما بين حين وآخر يبددها دوي البارود، طلقة في الحوش وأخرى عند باب الحجبة من حيث دخل العريس مولاي وركن المكحلة إلى زاوية الجدار"**[3]. إن الحناجر التي تزغرد اليوم على زواج مولاي،

[1] المصدر نفسه، ص 19 – 20

[2] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 76

[3] المصدر نفسه، ص 31

هي من كانت تزغرد في السابق عند مرور جثامين الشهداء، ولأن المقام لا يحتمل تفصيلا كبيرا، لم يطل الكاتب فيه، وإن كان قد لمح إلى أمور لا تكاد تخفى على العين.

إن ما تميز به " مولاي الحضري " من مؤهلات بالإضافة إلى تاريخ عائلته المجيد أهله أن يكون أسدا في الجبال يصول ويجول ضد المستعمرين، إنه لا يرى في الموت وحشا مخيفا بل طيفا يزور النفس إذا شاءت الأقدار، وقد سطر الحبيب السائح هاته اللحظة فقال: " **وتبسم لنفسه" من تسقط على رأسه مثل تلك المناشير فيقرأها لابد أن يشعر بأن أثرها يكون عليه عكس المنتظر". ثم أخرج الكراسة." أقدر أن هناك شيئا ما في وجدان الواحد منا يحول تلك الدعاية إلى ضدها بأن لا يرى بعبع الإعدام سوى تتويج لموت شريف بالرصاص، أو بمقصلة بربروس الرهيبة كما واجهها بإباء الملحّم أحمد زبانة في نهاية ربيع العام الثاني 1956 والكيميائي طالب عبد الرحمن في ربيع العام الرابع 1958، فسجل بدمهما عار فرنسا الاستعمارية ضد الجزائريين** "[1].

ويستمر الكاتب في سرد الحياة الاجتماعية ل " مولاي الحضري " ، وفي مشهد آخر يصف لنا اجتماعا لهذا القائد الثوري العظيم فيقول: " **بعد اجتماعه مع قادة أفواج فصيلته الثلاثة، لسبر معنويات الجنود وضبط مدخرات المؤونة ومهمة التزود بها، ها هو مولاي بوزقزة يحرر مشاعره على كراسته" طالما أوجدت كل مرة ذريعة جديدة أسدّ بها في قلبي منفذا آخر للحقد على الفرنسيين بلا تمييز، على العسكر الذين نتوقع أن كثيرا منهم إذ يوجهون أسلحتهم نحو صدور الجزائريين وظهورهم إنما يفعلون بأمر قيادتهم قبل أن تأتي حملة " بسط السلم "برا وجوا لتغيّر مزاجي وأحكامي؛ ليس لشراسة وقعها فحسب، وما كنا لننتظر من عدو مهادنة ولكن للتعدي، الذي رافقها، على الكرامة الإنسانية باتخاذ الاغتصاب سلاحا آخر أشد فتكا بمعنويات الأهالي**"[2].

إن هذه الاجتماعات التي كان " مولاي الحضري " يقوم بها مع أفراد فصيلته، لم تكن فقط لتطمئن قلوب الجنود، ولا لتثبيت فؤادهم فقط، بل هي لترسيخ قناعة أن القتال كان فرضا لازما على شعب سُلبت منه كل الحقوق فلذا من الطبيعي أن" **مولاي بوزقزة لا يخفي تذمره" هل وهنت**

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 211-212

[2] المصدر نفسه، ص 113

عقولنا إلى حد أن يدخل إليها العدو هذا الارتياب فيمن هم أوثق عندنا، ويزرع هذا الشك حول من هم من خيرة شبابنا الملتحق بصفوف ثورة شعبه"؟ قائد الولاية ينبِّه ببرودة" ليس هو الشك. إنه الحذر. اليقظة "[1].

ولأن الثورة لم تحمل وجها واحدا فمثل ما كان فيها رجال أسود كان فيها أشخاص تخلوا عن مبادئهم بغض النظر عن دوافع كل واحد منهم، لكن هذا الذي حصل وفي وصف مثل هذا يقول الكاتب: **"وعلى أرق الليلة الماضية، لمشقة غلق باب الارتداد إلى العدو من الجنود ومن الضباط أنفسهم، تسلم مولاي بوزقزة مساءً برقية محمولة أبلغته نزول النقيب حطابي الطويل بسلاحه ملتجئا إلى فصيلة الجندرمة في الباليسترو"[2].**

لم يتوقف الكاتب عند هذا الحد بل راح يسرد القصة من كل جوانبها فقال: **" لم يبحث مولاي بوزقزة عن سبب آخر أشعل في ذهن النقيب حطابي التفكير في إنقاذ حياته، بعد استدعاءه إلى قيادة الولاية، غير مسائلته عن اختفاء مبلغ مالي معتبر" من أين لك يا رفيق إجابة سحرية في ظل هذه الظروف العصيبة من الانفلات بالقرارات واستشراء الحزازات واستيقاظ وحش الجهوية في الصدور وضغط الحرب عسكريا ونفسيا؟"[3].**

وعن أسباب كل هذا أو دعنا نقول إنه دافع تصوره " مولاي الحضري " لسي الناجي احتمال سطره الكاتب فقال: **" احتمل مولاي بوزقزة أن السي ناجي سيتخذ ذلك ذريعة بأن يتهم النقيب حطابي بتدبير الخطة للاستيلاء على المبلغ ومن ثم أن يتخلص منه، منعا لترقيته، بدلا منه، إلى رتبة رائد"[4].**

إنها النهاية المؤلمة الموجعة لرجل مثل السي ناجي صُفي كالكثير من الشرفاء لأغراض شخصية كنعيم وأمثاله، إنه الأخطاء الفادحة التي لم تسطر في الدفاتر وحفرت في النفوس وعن هذا الوجع يقول الكاتب: **"حرص مولاي بوزقزة على أن تؤخذ صورة لسي الناجي، بعد إدانته وتنفيذ حكم**

[1] المصدر نفسه، ص 127

[2] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر: ص 133

[3] المصدر نفسه: 133-134

[4] المصدر نفسه: ص 134

الإعدام فيه رميا بالرصاص تلبية لرغبته الأخيرة، هي التي أوصلها القايد بن اعمر يدا بيد إلى النقيب حطابي، على خلفها" إطمئن عدالتنا أخذت مجراها في حق من تألب عليك. رفيقك مولاي"[1].

- **البعد النفسي:**

إن دراسة نفسية كل شخصية تتركز على معرفة ما يجول في هذا الفؤاد، ومعرفة تقلباته من حزن إلى فرح، ومن قمة السعادة إلى حضيض الشقاء والتعاسة. وفي هذا الصدد، يقول الحبيب السائح: **" سنون ست التي قضاها مولاي بوزقزة في الجبل على درجة إيلامها وشقوتها، كما قرأ كولونيل الزبربر وسمع ودون، كانت مثيرة بأدنى فعل، بأبسط كلمة على هامش الحرب، بهذه اللحظات التي يصفوا فيها الدهن حد الإشراق أو يغيم إلى درجة القنوط، بأفظع مشاهد القتال والموت والدم وآثار الحرائق والخراب، بهذا الإحساس بأن الحياة لا تزال مستمرة بعنفوانها لا تتوقف لها حركة ليلا ولا نهارا إذ هي بقدر ما تثلمها الأحزان، تسخوا على المظلومين بفرح أت دائما"[2].**

عجيبة النفس البشرية، إنها رغم الألم تفرح، ورغم المآسي تبتسم؛ وهذا لعلمها أن سواد الليل لا يدوم، بل سيعقبه نور الفجر الساطع، ولأن خبايا النفس لا تظهر بشكل جلي إلا عند الأزمات واحتدام الملمات. ومن هذه المواقف تبقى الحرب بمشاهدها الفظيعة وأجوائها المهولة من أقوى ما يُختبر به الشخص. وفي هذا الصدد، يقول الكاتب: **" صرخ نحو لوناس إذ خرج من وراء صخرته لأخذ سلاح قتيله" عندك، وراك! "فاستدار مواجها عسكريا نفذت ذخيرته حمل عليه بحربة بندقيته نحو بطنه فتجنبه بمقدار شعرة في ربع حركة إلى الشمال وعاجله بأخمص سلاحه على قفاه فتعثر وإذ نهض طلقتين في الصدر. جيوب المعركة الآن، مع تقدم النهار، إن هي سكنت هناك ازدادت ضراوة هنا حد الالتحام ثم ها هو ركض نحو لوناس، الذي خرج عليه عسكريان آخران بحربتهما فأصاب أحدهما بطلقة في البطن فألقى الآخر سلاحه ورفع يديه فصرخ فيه المصاب" يا غبي! "وبحركة يأس خاطفة استل خنجره وحز رقبته، فيما كبل لوناس يدي العسكري الآخر**

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 135-136

[2] المرجع السابق، ص 59

وقاده إلى الخلف"[1]. لم يكن مولاي ذلك القائد الذي يصدر الأوامر بينما هو جالس قد وضع رجلا فوق رجل، بل كان ممن إذا أمر شخصا سبقه إلى ما أمره به، فإذا دعى لحرب كان أول المقاتلين وإذا خطط لمعركة وضع نفسه في أسوء المواقف فها هو يصرخ هنا ويقاتل هناك ويقتل هذا ويحذر ذاك.

قد يسميها البعض حدسا، وقد يسميها البعض الحاسة السادسة، ذلك الاستنتاج الذي يسري إلى الفكر في لحظة صفاء روحي وليد تجربة طويلة، هذا بالضبط ما أحس به " مولاي الحضري " وها هو الحبيب السائح يصف لنا هذا فيقول: " **سجل مولاي بوزقزة، يبدو ذلك مثل نبوءة أن فدية هذه الحرب ستكون أكبر من أي توقع وأن الناجين منها لن يحفظوا لضحاياها عهدا، إلا قليلا منهم، ذلك ما جدد له الشعور بالكآبة أكثر مما كانت أصداء الحرب الأخرى، ذات التخريب النفسي، تشغله"**[2]. إن هذا الإحساس كان له وقع لا يوصف على مولاي، إنه أشبه بالسكاكين التي تغرز في الروح له أثر طويل المدى لا يمحى بالدموع ولا يندثر بتعاقب الأيام والليالي.

إن الحرب التي أظهرت مكنون قلب " مولاي الحضري " هي نفسها من أظهرت مدى الجزع الذي كان ينطوي عليه أولئك الجنود الفرنسيين، وإذا أردت مثالا واضحا على هذا فانظر إلى حالهم بعد كل معركة بل في كل معركة، وها هو الحبيب السائح يذكر لنا هذه الحقيقة فيقول: " **منقبض الملامح، شارد الذهن تحدث أنطوان، كما لنفسه" كثير من رفاقي كانوا يقتلون للقتل بسبب الذعر، لا يميزون. بعضهم كان لا يزال تحت وطأة كابوس ديان بيان فو يرس ناره في كل اتجاه على أي شيء يتحرك، كسرا لحصار الرعب من حوله"**[3]. لا تستغرب من هذا الذعر ولا تستنكره، فإن الجندي الفارغ من العقيدة والخالي منها لا تزيده أسلحته إلا خوفا وخورا وجزعا وجبنا، لأن اعتماده كله عليها أما الجندي الذي عدته إيمانه وسلاحه تقواه لا تزيده فقدان أسلحته إلا قوة أمله في ربه.

إن هذا الإحساس الذي كان يجول في نفس ذلك الجندي لم يكن حالة شخصية منفردة، بل كان حالة اجتماعية لكل أولئك الجنود وقد وصف الحبيب السائح هذا فقال: "**يسجل مولاي**

---

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 64 – 65

[2] المصدر نفسه، ص 76

[3] المصدر نفسه، ص 67

بوزقزة أنه بعد مراسم حفظ العلم آخر المساء آخر فصيلة كان سأل في الكازمة العسكري أنطوان، الذي أسر خلال المعركة، لماذا رفض زميله الاستسلام فأجاب" سيدي القائد جون ماري كان أحد الذين أذعنوا للدعاية". وردد كما في هلوسة" هل ترضون أن تجهز على أحدكم امرأة فلاقي بفأس تغرسها في رأسه؟ إنكم حين تقعون بين أيديهم أحياء. يحضرون نساء قتلاهم لفعل ذلك. إذا، رصاصتك أو خنجرتك لك أرحم!"[1]. من أعلى سلطة إلى أدناها إحساس واحد كان ينتاب الجميع وكأنهم لفرط جهلهم وكثرة خوفهم يرتعدون خوفا فلا يستطيعون الوقوف على أرجلهم لوهلة أما رجال أرعبوهم أحياء وأمواتا.

إن هاته السعادة التي تتسلل إلى فؤاد " مولاي الحضري " في ذكرى أول نوفمبر أمست ذكرى تحوم في نفسه، في كل عام وها هو الحبيب السائح يذكر هذا فيقول: **" يشعر بها مولاي بوزقزة عزاء شمس أول نوفمبر هذه التي تدفئ صدره في هذا العام 1970. إنه يسجل لو كان يستطيع أن يتواجد في كل مكان في اللحظة ذاتها ليفدي كل ضحية من الأهالي في الريف، في المدن! "**[2].

إن هاته السعادة التي كان مولاي يشعر بها لم تخفى على جنوده فهي مرتسمة على وجهه بادية في تقاسيم فؤاده ذكر الكاتب هذا كله قائلا: **"على وجهه كان جنوده يستطيعون رؤية طيف سعادة، وهو يقف عند هذا أو ذاك منهم. هو، كان يتذكر. يحلم" طلقة رصاصة، في الليل، في منتصفه بالضبط دام إلى الآن قرنا وثلاثين عاما، ها هي توقظ شمسنا. غدا ستشرق أخيرا "**[3].

إن تلك الذكريات التي كانت تلوح في ذهن مولاي لم تلبث أن تتحول إلى غيمة أمطرت دمعا إنه شيء من الضعف المشوب بكثير من كبرياء محارب وفخر مقاتل؛ إنه مشهد مؤلم ينضاف إلى ما حوته الرواية من مشاهد محزنة وقد رسم لنا الحبيب السائح كل هذا فقال: **"سفح دمعتين في خلال رحلته الذهنية مدى المسافة بين الضياء المخلل للزبربر وبين غياهب" فيللا سيزيني "،" دار النخلة" المشؤومة"**[4].

---

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 67

[2] المصدر نفسه، ص 104

[3] المصدر نفسه، ص 105

[4] المصدر نفسه، ص 106

إن للحرب آثارها المشؤومة على جميع من حضرها أو سمع بها، وإن كانت هذه الآثار ليست بنفس الدرجة فهي تأخذ من الرجال حياتهم ومن النساء أعز ما تملكن وعن أثر الحرب في نفسية " مولاي الحضري " يقول الكاتب الحبيب السائح: " **فقد غصه، ماكان قايد بن عمر نقله إليه عن اللائي هجرن عائلاتهن فسقطن في شباك الدعارة ومن همن على وجوهن يحملن آثار رضوض نفسية لا تندمل وأولئك اللائي اخترن إنهاء حياتهن بشنق أو شرب أي مادة سامة أو ارتماء على الرأس في بئر؛ لأنهن انتهكن أمام أنظار محارمهن أو أزواجهن"**[1].

لم يكن " مولاي الحضري " من أولئك الذكور الذين يهابون الموت بل كان رجلا يقابل الموت بصدر عار وإرادة جازمة كان رجلا من سلالة أسود نحت التاريخ العتيق لعائلته في نفسيته شيئا من الإباء لا يوصف وها هو الكاتب يصف لنا إحدى دورياته فيقول: " **سجل مولاي بوزقزة ذلك. إنه يردده في داخله غبطة وهو يتمشى المسافة بين مواقع حراسة المخيم الأربعة" أجل، هو القدر الذي بعث بين يدي الرقيب جويل"**[2]

- **البعد الفيسيولوجي [المادي أو العضوي]:**

لم يقتصر وصف الكاتب الحبيب السائح لشخصية " مولاي الحضري " على بعض الجوانب فقط، بل نوَّع في ذكره ووصفه وإظهاره. فها هو يصفه لنا من وجهة أخرى، فيقول في حقه "**هكذا باعتداد العسكري فيه هو كولونيل الزبربر: ذاته والده العارية من مسوح الحرب، خلال الحرب ذات الإنسان الأخرى في شقائها الروحي بفعل الحرمانات كما يمكن أن يتصور له ولجيله تحت نير الاحتلال في عزلتها مذ قرر الصعود إلى الجبل حاملا أيضا بندقية العائلة وخراطيش الذخيرة. ذخيرة كما حدثت العمة ملوكة، كان الجد السي المهاجي يصنعها في البيت من قطع مادة الرصاص بتذويبها وصبها في قوالب خاصة ذات أعيرة متوسطة أو كبيرة" الداموز "لردع الخنازير البرية عن اتلاف المحاصيل الزراعية قبل أن تمنع سلطة الاحتلال عن الأهالي، غداة اندلا ع حرب التحرير شراء مادة الرصاص وأسلحة الصيد وخراطيش وذخائرها من" الصاشم "نفسه لصيد**

[1] المصدر نفسه، ص 113

[2] المصدر نفسه: ص 137

الحجل والأرانب[1]. فهو بهذا يصف لنا الحالة المعيشية التي ترعرع في وسطها " مولاي الحضري " وكيف كان يقضي أوقاته.

ولأن الحياة لا تستقيم على نسق واحد، ولا تبقى عليه، ها هي المنية تختطف هذا الجبل العظيم. وهي، وإن غيبت جسده فروحه باقية في قلب ابنه، بل في قلب كل جندي حر أبيّ. يصف لنا الحبيب السائح هذا الموقف الحزين فيقول: **"ما يشبه عزفا ناشزا، لجوقة صراصير ودبيب خنافس وطنين حشرات أخرى، كان رج أذنيه إذ فتح على ما كان والده مولاي سلمه إياه بخط يده في كراسة ذات نابض قائلا له قبل نقله، آخر مرة، إلى مستشفى عين النعجة، الذي فيه التهمه سرطان المثانة ومنه خرج في تابوت قبل ست سنين" أخشى ألا أعود. هذا شيء من حماقات الرجال ومن حالات ضعفهم شيء من قذاراتهم أيضا. وشيء آخر من شهامتهم إنه شيء من تاريخي. فللحقيقة رائحتها المنتنة أيضا"**[2]. كان دخول المستشفى آخر المراحل قبل الموت وقبل هذا سلَّم إلى ولده خلاصة تجربته وعصارة حياته.

- **البعد الفكري:**

لا ينبغي لنا أن ننسى أن " مولاي الحضري " عاش فترة شباب ملتهب. وطن مغصوب وحرية منتهبة، ولأنه من سلالة رجال أشاوس، فنار الحرب كانت تمشي في دمائه، وتسري في عروقه. إن رجلا بشخصية مولاي، لن يتردد في الإقدام على هاته الحرب، وكسر هذا القيد الذي فرضه المستبد بقوة النار والحديد. يصف لنا الكاتب كل هذا، فيقول: **" هنا في موقع الفصيلة في غابة الزبربر نحن في العام الرابع 1958 من زمن الحرب، انسكن مولاي بوزقزة نهائيا بهاجس الحرية قبل عامين كان حمل السلاح في زهو الشباب في الخامس والعشرين فترسخ له إيمان بأن قدره إن هو أجاءه إلى هذه الدنيا في هذا الوقت الكئيب من بلوغ الاحتلال أعلى مراحله الاستبدادية فإنما ليخوض معركته، لا شيء غيرها، لإنهائه. إنه، من وجع التشنج عزاه إلى القلق، يسند ظهره إلى صنوبرة أبيَّة الصمت "نحن نعيد تاريخ الجزائر إلى مساره نحن نصنع حدثه الجديد "**[3]. إن شابا في زهرة

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 58 – 59

[2] المصدر السابق، ص 54

[3] المصدر السابق، ص 61

الشباب وعنفوانه، لن يتزحزح عن مبدأ قاتل لأجله مهما كانت الخسائر. وفي نفس الوقت، ستكون حسرته كبيرة، وهو يرى أن ما قاتل لأجله يساق إلى غير أهله.

إن شخصية " مولاي الحضري " الحديدية أثرت على جنوده أيما تأثير. فها هو يسوقهم نحو الحرب بعزم وإصرار يزلزل الجبال. إنه يصنع منهم رجالا لا يقاومون، وجيشا لا ينكسر. فقبل كل معركة، كان يعدّهم ويذكرهم، وها هو الكاتب يصور لنا مشهدا من تلك المشاهد التي كانت ولا تزال مفخرة وعزا، فيقول في هذا الصدد: **"وعلى خيوط الصبح الأولى، بين جذوع أشجار صنوبر وعرعار منتصبة كعوامد لصحن مقام قي قلب الزبربر خاطب جنود فصيلته بما أحب أن يخاطبه به ضابط أو قائد، لو كان نديا بسيطا، بما شعر يقوله لنفسه أولا" الواجب يناديا. نحن نقاتل بشرف الرجال العالم كله يستمع لأخبارنا، يقدر شجاعتنا. وهذه الأرض تنصت لمطلبنا: الحرية! أنتم لا تعتدون على أي قانون نحن نحارب من أجل إزالة القوانين الظالمة في حقنا. أنتم لا تريدون سوى تصفية هذا الاعتداء المتواصل على بلدنا منذ مائة وخمشة وعشرون عاما نعم، قرن وربع، الآن! هل هناك شعب في الدنيا قام لاسترداد حقه المغتصب لم ينتصر؟ نحن، بعزيمة رجالنا ونسائنا هناك خلفنا، بتضحيتنا القصوى من أجل هذه الأرض، سنوقف الزمن لينظر إلينا بقدر ما نحقق نصرنا، نحن!** [1]". إنه الإيمان الذي لا يتزعزع بالقضية، كان ولا يزال محرك الشعوب للنهوض، فما فائدة البنادق والأرجل ترتجف. إن صوت الحرية الذي كان يدوي في الأرجاء ليشعل الحماس للدفاع عن الأرض والعرض، لم يزل كذلك من الأزل فالشعوب تحرك بالخطابات الرنانة والحروب تشتعل للمصالح السياسية.

إن مشاهد الحرب كانت أكثر ما طبع حياة " مولاي الحضري " فلا ينتهي من معركة حتى يحضر لأخرى، فهو لم ينتقل بين الرتب عبثا ولا بواسطة. الرجال لا يحتاجون إلى وسائط، إنجازاتهم تتحدث بدلا منهم، وتدافع عنهم. وفي وصف لبداية معركة أخرى، يقول الكاتب: **" مولاي بوزقزة، في ضحى هذا الشتاء الرابع 1958، وقد وصل بفصيلته إلى حدود الموقع لفتح جبهة قتال على العدو لفك حصاره على سرية من الناحية الأولى كانت تعبر للقاء السرية الثانية قادمة من الناحية الثالثة لانتخاب قيادة لتنسيق العمليات العسكرية، يصدر أمره" جنود! سنمنعهم من**

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 62

إحكام الطوق على يمين ميدان المعركة ". دقق بمنظاره انتشار العساكر هناك في السفح كجراد"[1]. إنه الإحساس بالمسؤولية المشتركة، والحس الفدائي تجاه كل من حمل السلاح؛ تجاه هذا الطاغية المستبد المستعمر الغاشم. إنهم إخوة الأمس الذين وحّدتهم القضية، وشتّتهم السياسات والمؤامرات، ولنقل بصراحة المصالح الشخصية.

لا تزال مشاهد الحرب تلقي بظلالها، وها هو " مولاي الحضري " في معركة أخرى ومشهد آخر ممن مشاهد العزة والأنفة مع رجاله فيصفهم الحبيب السائح حيث يقول: **" ها هي مجموعة من المشاة. ثلاث فصائل بالتقدير، أخذت في الصعود نحوهم إنه هو وجنوده في موقع يعلوا كل تحرك. متحصنون خلف الصخور، في الخشاشيب فوق الأشجار تجنب أن يتبين وجه هذا العسكري المتقدم نحوه امام ثلاثة آخرين مطأطئين إذ أطلق. أصابه. مال العسكري جانبا هامدا. اشتعلت نيران الأسلحة. هلع الجنود. استمر التبادل للحظات عشوائيا في الاتجاهان المتقابلين قبل أن يصير محددا مدققا مصيبا"**[2]. إن أمثال هؤلاء الرجال هم من ينبغي الحديث عن بطولاتهم والتحدث عن مآثرهم. فهم بحق رجال بذلوا أنفس ما يملكون لهذا الوطن، فمن المؤسف أن تُطمس آثارهم وتمحى مآثرهم، وإن كان أهل الأرض قد بخسوهم حقهم، فإن ربّ السماء سيعاملهم بما هم أهل له.

لم يقتصر وصف الحبيب السائح لمجريات المعارك يقتصر على بداياتها، ولا حتى على مجرياتها. فها هو يصور لنا نهاية معركة، انتصر فيها " مولاي الحضري " ورجاله، فيقول: **" إنه الآن يراقب بمنظاره هذا الضابط يصرخ، كان صوته لا يصله، محركا يده بإشارة التراجع، بعد أن لم يتمكنوا من زحزحة الفصيلة بهذا الهجوم أو ذاك مخلفين كل مرة قتلى وجرحى. في اللحظة، اعتبرها لنفسه صدفة، بل لمنطق الحرب، قدرًا أن لم يطلب الضابط الفرنسي، الذي كان في مواجهته، مددا. لو فعل كانت الفصيلة لن تنسحب ولكن لا أحد من الباقين منها كان سينجو"**[3].لم يكن للحرب

[1] المصدر نفسه، ص 63

[2] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 63

[3] المصدر نفسه، ص 65

منطق مستو فقد تخسر بعتاد قوي وتفوز بإمكانيات قليلة فالعقيدة هي من تحرك الجندي قبل سلاحه.

فلم يغفل الكاتب الجانب الفكري لشخصية عظيمة مثل " مولاي الحضري " إن عقليته الثورية وفكره الرافض للاستعمار. جعلا منه أيقونة، ورمزا للثورة. وفي هذا الصدد، يقول الكاتب: **"في بداية صيف هذا العام السادس 1960، يلتقط مولاي بوزقزة ليلا من مذياعه صدفة أن الجنرال يكون أجرى في الإيليزي، اتصالا سريا مع أحد قادة الجبهة بشكل انفرادي تنفيذا لسياسة" سلم الشجعان" فانتظر، لاحقا في اجتماع قادة الفصائل، من قائد الولاية إشارة بالتأكيد أو النفي فلم يأته غير الصمت، فإنه كان، منذ بداية شهر يناير، يتابع حملة" عملية تيلسيت" الدعائية، مما يأتيه به القايد بن اعمر ومما يسمعه من قادة الفصائل في الأحاديث الجانبية على هامش الاجتماعات مع قائد الولاية"**[1].

كان موقف " مولاي الحضري " تجاه المستعمر راسخا وثابتا لا يتزحزح ولذا لم يستوعب كيف أن هذا المستعمر لم يفهم عقلية هاته الأمة التي يقاتلها. **" أضاف، بصوته أيضا" المستعمرون، برغم قرن وثلاثين عاما الآن ظلوا لا يعرفون عقلية هذه الأمة. ولقدروا ردة فعل هذا الشعب أو أدركوا لديه سرَّ هذا المَعين الذي لا ينضب لمقاومة الدخيل"**[2].

إن هذا الفهم السقيم لهذا الشعب، وهذا الازدواج في المعايير. هو ما جعل المستعمر يتخذ أقذر الوسائل للوصول إلى غايته. ولا تعجب، فإن للاستعمار عقلية واحدة، والمستعمر مهما اختلفت جنسيته، فالنجاسة الروحية لا تفارقهم. وعن كل هذا، يقول الحبيب السائح: **"وسجل على شمعة" ها هم قادة جيش الجمهورية الفرنسية، مثل أي عصابات منظمة، يتخذون من الاغتصاب حربا أخرى ممنهجة لكسر كرامة الجزائريين". إنه يبتسم لابتسامة السيد بن عمارة. إنه يتخيل شموخه وقد قاده العسكر إلى الثكنة لاستنطاقه فسكت قلبه مع التغطيسة الأولى لرأسه في حوض التعذيب" ذَرف دمعة كفيل بالسلام على روحك "**[3].

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 107

[2] المصدر نفسه، ص 112

[3] المصدر نفسه، ص 118

ولمكانة " مولاي الحضري " بين صفوف الثوار، لم يستوعب كيف يسقط الشرفاء بهاته السهولة؛ إذ به يصارح مسؤول التصليح والاتصال بهذا، فيقول: " **ولمسؤول جهاز التسليح والاتصالات العامة، بيد مولاي بوزقزة قلقه" أتفهم ان يسقط شهيدا جندي، فدائي، مسبل، خيط الاتصال، أو أن تهن عزيمة أحد فيرتدّ. لكن كيف يقع، مثل طريدة، قائد في كمين؟ كيف يلقى القبض على ظابط أو مسؤول فلا يقاوم ويسدي للعدو خدمات تهدم ما بناه الجهد والتنظيم والتضحية؟ "فيسوق له" أولئك نعرفهم فنحتاط عند وقوعهم. الخطر يأتي من داخل صفوفنا من بعض هؤلاء الفارين من الجيش الاستعماري إنها المؤامرة! "ويحذره قائد الولاية" وهي لا تستثني أحدا**[1]".

هذا القلق، لم يبرح ذهن " مولاي الحضري " ، فهو بات يلازمه في كل حين، وفي كل مكان حتى "**في الكازمة ، الآن يضيف مولاي بوزقزة " وكيف يسقط القائدان عميروش والسي الحواس في العام الخامس: 29 مارس 1959، في كمين قاتل نصبه لهما العدو، لدى محاولتهما عبور الحدود الشرقية؟ "**[2]

كان شكا، فلم يطل الأمر، حتى صار قناعة لها طعم مر، تتركز في الحلق، فتبدو "**بتشنج في أصابعه، كما وصف مولاي بوزقزة، واعتصار في قلبه" نحن نواجه من داخلنا تصفية حقيقية. وقيادة الخارج، في تونس كما في وجدة، يبدو أنها لا تولي هذا الأمر ما يكفي من الاهتمام لتجنب الانهيار الظرف يستدعي تعيين لجنة تقصٍّ لكشف خيوط المؤامرة، يا حضرة مسؤول التسليح والعلاقات العامة ". ولنفسه رافعا رأسه في فراغ الكازمة ليلا، يحس وحش الحيرة ينهش فيه الروح" كيف أتحمل أن أرى هذا التدمير يطال جيش تحرير شكله الرجال بأعصابهم ودمائهم ونثراتهم! إلهي، ما أشدها ساعات عصيبة!**[3]".

إن هذا الطالع الذي صار يرافق " مولاي الحضري " الذي كان يراه واقعا معيشا، كان له أثرا فادحا، ولقد تمثل هذا، "**فأخبار تجنيد الاستعلامات الفرنسية عشرات من المرتدين ومن المتعاونين**

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 127-128

[2] [2] المصدر نفسه، ص 129

[3] المصدر نفسه، ص 131

إن كانت مثل طالع نحس، أغامت هذه المرة حال مولاي بوزقزة فإنها ذكرته بميليشيات فيشي كما قال القايد بن اعمر، إذ تفحص في الليلة الموالية صورا فوتوغرافية، كان جمعها له، لمن صاروا يعرفون باسم " لابلويت[1]".

وفي ظل هذه الأزمة، لا يجد " مولاي الحضري " إلا أن يصرح، ولو بينه وبين نفسه **فمولاي بوزقزة يسمع حسيس القلم على الورقة" مثل هؤلاء على رأسهم عبد الله مرتد هم الذين يجب تعريضهم للعقاب على خيانتهم، لأنهم أمسوا يشكلون خطرا قاتلا لما تبقى من الخلايا[2]".**

فلا يملك " مولاي الحضري " والحالة هاته إلا أن يصلي لربه ألا تنزلق به القدم، وأن يموت ميتة مشرفة لشخص مثله رجل عاش حياته مدافعا عن مبدأ صار جزءً منه. وفي هذا الصدد، يقول الكاتب: **"البارحة، صلى مولاي بوزقزة لربه في ظلمة الكازمة، وهو في أشد لحظاته ضعفا، أن يهتدي إلى كلمات جديدة لا تكذّبه فيما جعل فريقا من جنوده يموتون من أجله وفريقا آخر ما برح مستعدا لذلك، أو أن يحظى بنهاية جليلة كمن استشهدوا جميعا ثم ما لبث أن انساح في حزمة نور" وإن أخرني قدري إلى أجل أراه قريبا لأشهد الفرحة العظمى"[3].**

انتهت الحرب الظاهرة على العدو، وأخذ الشعب استقلاله. وبدأ فصل جديد في حياة " مولاي الحضري " ، فهذا الحاضر بُني على ماض تليد، وها هو مولاي يمشي بين الخراب والدمار. ولم يفوت الكاتب هاته اللحظة، بل سجلها، قائلا: **" فحيثما كان مولاي بوزقزة تحرك، في بداية هذا العام 1962 ملأت بصره آثار العدوان الذي كان مر من هنا أو هناك فجعل مصير الأهالي آلاما وبدّل وجه هذه الأرض يبابا، في كل مكان منها يكاد لا يسمع غير الصمت الناحب من كل بيت مهدم أو قائم أخلي منه قاطنوه إلا التوجّع النابع من قلب هذه السهول المترامية مد البصر إلى سفح جبل الزبربر، الذي لقصف قلبه بالنابالم بدا إخضرار جنباته ذاويا، كأنما حزنا**

[1] المصدر نفسه، ص 131

[2] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 132

[3] المصدر نفسه، ص 119

أيضا على طيور الحجل والحمام واليمام والعقبان والغربان وطائر الرخمة الخرافي والذئاب والثعالب والخنازير البرية والأرانب والقطط المتوحشة واليرابيع وكل الفرشات وكل الحشرات"[1].

وما إن وضعت الحرب أوزارها حتى اشتعلت الجبهة الداخلية. فها هو إخوان الأمس يرفع كل واحد منهم بندقيته تجاه صديقه الذي تقاسم معه –إلى وقت قريب– هموم هذه الحرب وويلاتها. إنها حماقات الساسة، وجشعهم وأنانيتهم. ولا يملك " مولاي الحضري " أمام هذا النتانة التي تفوح رائحتها إلا ما سطره الكاتب حين قال: **" فقد نزل مولاي بوزقزة إلى العاصمة، تنفيذا لأمر من قيادته، مفروم القلب متبعثر الوجدان، كيف يقف ضد من كانوا هم أيضا قبل أيام هنا مثله في الداخل، وسط الجبال، على خط المواجهة المباشرة مع العدو لأكثر من سبع سنين، في مطلق الحرمان في ذروة الخوف، في آخر ما فضل من معنويات، في أقصى ما كانت الأعصاب تحملته وسط حصار خط موريس على الحدود التونسية"[2].**

يواصل الكاتب الحبيب السائح وصف هذا النزول البائس وتداعياته على " مولاي الحضري " ، فيقول: **"في هذا التاسع من سبتمبر، إذا، وجد مولاي بوزقزة جو العاصمة، مثل رصاص، ثقيلا ثقل سحابة الحرب الأهلية المخيمة عليها، فإنه ترك وراءه أيضا ظلالا لها تنشرها مجموعات من جيش التحرير تبغي الانفصال بتحريض من قادتها الداعين إلى إقامة مناطق لحكم ذاتي. كان الرائد نعيم رزاز قال له، في مكتبه: " إنه أسوء ما يمكن أن يحث في حق شعب وهب كل شيء لتنتصر إرادته الجماعية"[3].**

إن أولئك الجنود الذين كانوا يتربصون بالعدو، صاروا يتلبدون؛ لأن في الجهة المقابلة رجال، كانوا بالأمس إخوة لهم، فصاروا اليوم أقرب إلى الأعداء. إنها معركة الرابح فيها خاسر، والخاسر موجوع، والمنتصر فيها هو العدو الذي يتربص من خلف البحار. يقول الكاتب واصفا بداية تلك الملحمة التي شاء القدر ألا تنتهي قائلا: **"الآن وصل مولاي بوزقزة وجنود فصيلته إنهم في مدخل**

[1] المصدر نفسه، ص 168

[2] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 172

[3] المصدر نفسه: ص 173

باب الوادي الشرقي. إنه يتلبدون وراء أعمدة الأقواس على جانبي شارع مكبوس بصمت الانتظار"[1].

لم يكن " مولاي الحضري " من أولئك الذكور الذين تحركهم غرائزهم وطمعهم، ولهذا ما إن انتهت الحرب حتى عاد إلى عزلته وكراسته، فلم يطمع في حقيبة رئاسية، ولا كرسي في جهة مرموقة. لعله أدرك أن ذلك المستنقع لا يليق بفارس مثله، إنه لا يصلح إلا للخنازير البرية فقط. ويا لها من لحظة؛ إذ سطرها الكاتب فقال: **" بعد الذكرى الثانية للاستقلال غادر النقيب مولاي الحضري، المكنى بوزقزة كل حياة لها علاقة بشؤون الدولة. لاحقا، كان سيسجل أنه لن يبرأ من جرح إعدام العقيد شعباني" ذروة اللامسؤولية! خالص العبثية أيضا! "فشرف جندي مثله كان لن يسمح له في أن يزكي خرقا فادحا كالذي وقع في حق ذلك العقيد. ولابد أن الكولونيل الزبربر، النجل من بعده يكون تألم يوم عرف الحقيقة"**[2].

ب الشخصيات الثانوية وأبعادها:

- **1 شخصية باية:**

تعدّ " باية " إحدى الشخصيات التي تناولها الحبيب السائح في روايته كولونيل الزبربر؛ وهي وإن لم يتحدث عنها بإسهاب، إلا أنه رسم لنا حدود شخصيتها، وها نحن نصنف كل هذا في محاور أربع:

- **البعد الاجتماعي:**

مع الأسطر الأولى للرواية تحدث الكاتب عن " باية " ، وأنها زوجة كولونيل الزبربر، وأم طاوس وياسين فقال: **" كان العريس جلال سيجد عروسه باية كأنها ملك أبيض طاف بالبيت ثم حط سلاما، بل حورية مشتهاة نزلت من جنة خالقها"**[3]. فالكاتب بهذا، يخبرنا عن أول لقاء في قفص الزوجية بين الحبيبين.

---

[1] المصدر نفسه: ص 174-175

[2] المصدر نفسه: ص 177

[3] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 32

ومع أن ل " باية " مكانة عظيمة في قلب زوجها إلا أنها كانت تعرف حدود ما لها فلا تتعداه، وحدود ما عليها فلا تتجاوزه. وفي هذا الصدد، يقول الكاتب: **" على أن باية ظلت متعففة عن البحث في حياته المهنية جاهلة جهلها أشياء كثيرة منها لا تسأل عنها ما لم يبغ هو لها أن تعرفه منها"**[1].

- **البعد النفسي:**

نقل لنا الكاتب الحبيب السائح في روايته كولونيل الزبربر مدى الحزن والألم الذي انتاب العائلة كلها، وخاصة زوجها بعد موتها، فقال: من" **غور تذكارات كولونيل الزبربر، من ظلمة حزنه، تأتي كلماته" باية! مؤلم، مؤلم لأنك تتركينني وحيدا لشقائي الأخير. وأنت يا قدر، لماذا أنا؟"**[2]. كيف لا، وهي باية الزوجة الحنون العطوف.

- **البعد الفيسيولوجي [المادي أو العضوي]:**

لم يهمل الكاتب الحبيب السائح –وهو يرسم لنا صورة عن " باية " – شيئا من حياتها، فها هو يصف لنا مشهدا آخر عنها، بقوله: **" كان الكولونيل زبربر قام من مائدة شرب العشوية في المطبخ كما صارت العادة منذ أن أمسيا، هو وباية، وحيدين وجلس على كرسيه الطويل في المكتبة يقرأ" إلى أين تتجه الجزائر"لما حضنت رأسه يدان دافئتان إلى صدر عطر زاخر في سكون شبيه بخشوع لصلاة. ثم، من يده اقتيد إلى الحمام ونزعت عنه ملابسه، مطاوعا، في عينيه دمعة طفل الذي كأنه يوما بين يدي أمه. وأدخل الحوض مضوعا بالخزامة. فنطق" بايتي، شكرا "لم يأته ردها. كانت تشهق قرب الباب. أسمعها" أنت دفئي من بردي. أنت دفقي في عطشي. وغطس وجهه في الماء"**[3]. إنها لا تعتبر كولونيل الزبربر مجرد زوج لها فحسب، بل هي تراه كأنه جزء لا يتجزأ من مسؤوليتها الكبرى، وقضيتها النبيلة.

- **البعد الفكري:**

[1] المصدر السابق، ص 40

[2] المصدر السابق، ص 285

[3] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 52

يعدّ الجانب الفكري مهما في تحديد أي شخصية، فهبه ندرك مدى الآراء التي كانت عليها الضحية، ومستواها التعليمي، ونحو ذلك. ولهذا، لم يتوان الكاتب في القول عن " باية " وعلى لسانها: **" أنت تذكر كنت أنهيت دراستي الثانوية. لكني لا أندم على أنني لم ألتحق بالجامعة أعطيتني ما عوضني عن ذلك وغيره: طاوس وياسين.... كنت وسيما. مازلت! لم أقاوم كثيرا يا كولونيل الزبربر. غلبت. كانت معركتي معك قصيرة. وكم كان استسلامي بديعا ولذيذا! كل شيء تم في تلك الحملة التطوعية.... تم حينها تعرف هو ضابط الثورة الزراعية على باية الطالبة في الثانوية. بهره حماسها. أسره جمالها. كان في السيارة جنب سائق الإدارة المحلية وخلف الجيلالي مصور وكالة الأنباء، ورأى شاحنة أخيرة مكشوفة تقل عائلتين فلاحيتين من كوخهما، ضمن موكب مركبات، إلى جانب طالبين جامعيين بينهما باية، وسط أطفال خمسة، ظنوا بفرحهم على الطيور المتلاعبة هنا وهناك على جانبي الطريق وبعيدا أو قريبا وسط الحقول"**[1].

ولهذا، فليس من الغريب أن يحدثها زوجها عن تلك الأخطاء السياسية، والتجاوزات التي كانت تحصل هنا وهناك **" قال لها أيضا: "باية، من أجل أولئك يبقى الدفاع عن الجمهورية واجبا يمليه الشرف"، من غير أن يجد، كان ذاك يململه، كيف يفسر لها علاقة بعض قادته العسكريين بكثير من السياسيين ولا أن يقنعها بأن هذا الطرف وذلك يناور الآخر ويسخره لأغراض غالبا ما تكون الحصول على مزيد من عائدات الريع. كما الساسة الثعالب كما الضباط المفلسين منشغلون جميعا بالنهب والابتزاز. كلاهما مفسد لهذا البلد "**[2]. إنها تبادله نفس القناعات، فالأمر كان جليا، والسرقات كانت في وضح النهار.

- **2 شخصية ياسين:**

تعدّ شخصية "ياسين " من الشخصيات الثانوية في رواية كولونيل الزبربر للحبيب السائح. إلا أنها نالت قسطا وافرا من الوصف والذكر، وسيتم الكشف عن كل هذا وفق أبعاد، هذا أولها:

- **البعد الاجتماعي:**

[1] المصدر السابق، ص 283 – 284

[2] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 39

تعدّ عائلة الكولونيل الزبربر ككل العائلات الجزائرية، التي كانت –في تلك الحقبة– لاتزال متمسكة بتقاليد وعادات هذا البلد العظيم. فالكل يأكل في طاولة واحدة، وفي وقت واحد؛ إنه نوع من الرابط الأسري والالتحام العائلي، وها هو الحبيب السائح، يصف لنا إحدى تلك المجالس، فيقول: **"فأنا كما أمي، حتى ولو نكن سمعنا ذلك، خلال عشاءنا، من فمه لدى عودته من مراسم تقليده رتبته الأخيرة– ياسين كان في مهمة فإننا تواطأنا بالسكوت على صمته الناطق بأن التنويه تجدر به قتالية جنود فصيلته وفصائل أسلاك الأمن الأخرى. ثمة سرقة نظرة إلى عيني أمي، المنجدبتين إلى شفتيه الرقيقتين المرتفعتي الزاوية، فأضاءتا لي قبسا من حبهما الآخر الخفي"**[1]. إن مثل هاته العادات التي فقدناها كثير في زمننا هذا، تسهم في ترابط العائلة، وتزيد من المحبة بين أفرادها، فاجتماع الأبدان مبدأ اجتماع القلوب، والعكس بالعكس.

- **البعد النفسي:**

إن النفس البشرية بكل تقلباتها، وتغير أحوالها، لأمر يبعث على العجب من قدرة الله –عز وجل–، فهي مرة ضاحكة ومرة باكية، ومرة هادئة ومرة منفعلة، وتارة مبتسمة وأحيانا عابسة. وإن شخصية "ياسين " نالت من الوصف قدرا لا بأس به، يجعلنا نتصور ما كان يخفيه ياسين مما بدا على قسمات وجهه، وعن لحظات الفرح يقول الكاتب: **"كان ياسين، في بدلته زرقاء ليلية، أعطى ضاحكا إشارة انطلاق الموكب بطلقتين من مسدسه وركب سايرته "**[2] إن هاته السعادة التي كانت تنتاب ياسين، لأمر جلل يجول في نفس كل من كان في مكانه، فإنها ليلة العمر خاصة إن كان مع من كنا نحب.

ولأن الحياة لا تدوم على حال واحدة، فها هي المنية تصيب العائلة مرة أخرى فتأخذ منهم عزيز على القلب، فتترك في النفس جرحا وفي القلب أثرا. وفي هذا الصدد، يقول الكاتب: **"فبدموعي كنت قد قبلته" أنا وياسين أثمن ما يمكن لك أن تهدي هذه الأرض إياه شكرا لك يا بابا جلال**

[1] المصدر السابق، ص 20 – 21

[2] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 15

السخي. وشكرا لباية مامانا الحبيبة" "[1]. إنها قُبَلُ الوداع لعلها تطفئ ما في الفؤاد من جمر يتقد أسى وحزنا وشوقا وكمدا.

وها هي المنية تعود إلى هذا البيت السعيد مرة أخرى، فتسرق منه وردة أخرى، ليتحلى أهل البيت بكساء الحزن مرة أخرى. وقد وصف الحبيب السائح هذا الموقف بقوله: "**حسب أنه لعمره ما امتد، لن يشفيه من جرحه الغائر إلا أن يلقي بيده القبض على الزبير قاتل ياسين برصاصة في الجبهة من كاتم صوت بعد أن استأمنه على أنه يستطيع أن يقدم له نفسه رهينة مقابل إطلاق سراح النساء والأطفال الذين كانت مجموعته المتحصنة بشقة في إحدى العمارات اتخذته دروعا** "[2]. "ياسين " رجل عسكري، مات ميتة مشرفة، فها هو يفدي نفسه لأجل أن ينقذ غيره. أما البائس الزبير، فسنرى كيف مات.

لقد كان موت ياسين بتلك الطريقة، يمثل الصاعقة التي نزلت على البيت، فأصاب الجميع بحزن شديد، وإن اختلفت ردود فعل العائلة بين من تملكته الدهشة، وبين من سيطر عليه الغضب. ولقد وضح الكاتب ردة فعل الأم بقوله: "**آه يا قلبي على ياسين! "**[3]. إنها كلمة، اختصرت بها الأم كل ذلك الحزن والأمل على فقد فلذة كبدها. كان لابد لها أن تتماسك وتتعقل أمام الغضب الذي كان يجتاح الوالد، وإلا كانت العاقبة أسوأ كانت حكيمة في تصرفها حتى لا تنفلت منها مشاعرها فتغرق السفينة.

أما الكولونيل الزبربر والد "ياسين " فلم يتحمل فقد ابنه بهذه الطريقة خاصة أنه هو من وضعه على طريق العسكرية، ولقد وصف لنا الحبيب السائح ما كان يجول في نفسه، فقال: "**باية، لا تعترضي طريقي. أعرف عائلات من قتلوا ابننا سأصفي أفرادها واحدا، واحدا**

- **قد لا يكون لهم ذنب. أنت تعرف. أنت رجل قانون محلف كيف تنزل إلى درجة القتلة.**
- **أنا أقتل كل يوم.**
- **ولكنك لا تغتال. أنت تدافع عن القانون بالقانون.**

---

[1] المصدر نفسه، ص 14

[2] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 46

[3] المصدر نفسه، ص 283

– **القانون، هههههههه** "[1]. كان نقاشا حادا بين الوالدين؛ الأم تحاول أن تُهَدِّأَ زوجها، والأب يبحث عن طريقة للانتقام، كانت إهانة عظيمة أن يقتل رجل بمثل ياسين عن طريق غدر ومكر من نذل هكذا أحس الكولونيل.

إن النذل لا يموت إلا بطريقة تناسب خِسَتِهِ، فهاهو كولونيل الزبربر ينتقم لروح ابنه بطريقة لا تقل بشاعة عن فعلة القاتل الأول. وها هو الكاتب يصف لنا ما حدث في تلك الليلة فيقول: "**كما تعاقد كولونيل الزبربر مع الأستاذة فهيمة، كان يريد الزبير حيا. خابرته" غدا مساء، في دار الياسمين". قبل الفجر، في منزل بإحدى مزارع ضاحية الجزائر الغربية ها هو كومندو من عشرة من رجاله الميدانيين، يتقدمهم الملازم أول مُحَند، يقضون بالسلاح الأبيض وبكواتم الصوت على أربعة ممن يقيمون الحراسة. إنهم يفاجئون الزبير في السرير مع الأستاذة. الآن توقد أضواء السيارتين المتقابلتين. يظهر الزبير بين جنديين عاريا مكبل اليدين إلى الخلف. نطق له من كان وقف أمامه.**

– **أنت نذل لا تستحق حتى الموت كما الرجال.**

– **حضرات، لم أكن في حالي الطبيعية.**

– **كما في كل عملياتك المدمية.**

– **الأمير بيده كان يسقينا تلك الجرعات.**

– **ستذوق ما لم تشربه في حياتك أبدًا ".**

وأمر بلا شعور بذنب ولا تبكيت، أن يسقى الزبير من سائل حمض البطاريات. لم يتزعزع لصرخة التي مزقت غشاء ذلك الفجر، كان يتخيل جبل الزبربر نائما. وانتظر إلى أن شم رائحة الاحتراق بلا نار، وفي ذهنه صوت الملازم الأول محند يتلاشى" حضرات لن تتدخل. سنخرجه لك حيا". إذ تسلل إلى السرير ضم ظهرا دافئا إلى صدره" على غير عادتي، سأنام نهاري عميقا"، فامتدت يد إلى خاصرته صحبتها شهقة" كنت، مثل الطاوس، أنتظر ذلك. الآن،

[1] المصدر نفسه، ص 40

أرقد يا عزيزي".[1] لم يكن لموت الزبير بهاته الطريقة البشعة الوحشة أن يُعيد "ياسين " حيا، ولا لأن يطفئ لهيب فقدانه من وجدان عائلته، بل أضاف إلى حزنهم حزنا، وإلى كآبتهم كآبة. وإن كان الكولونيل ارتاح بعد أن قتله بهاته الطريقة، لكن كان من الممكن اعتقاله واستنطاقه لعله يدلي بما يفيد. وفي النهاية، هو ميت لا محالة، لكن الغضب الذي كان قد تملك الكولونيل، لم يدع له مجالا للتفكير، ولم يمنحه وقتا للتأمل.

أي مكانة عظيمة هاته التي حازها "ياسين " في قلوب كل عائلته حتى يحزنوا لفراقه كل هذا الحزن، فلم يكتف الكاتب برصد ردود فعل الوالدين، بل رصد لنا كذلك ردة فعل أخته، فقال واصفا كل هذا: **"لا أجد وصفا لقلبي المعذب على فقد شقيقي ياسين، كما كلما تذكرته، سوى إحساسي أنه أخرج من صدري وألقي في لهيب جمر. والله وحده، كما أشعر يعلم الذي لا يزال والدي المكابر يكظمه تجاه محنته في شقيقي، كما الذي كابدته أمي "**[2]. إننا نقف عاجزين أمام القدر المحتوم فنكتف بتمتمات أو بدموع في صمت، فلم يكن موت ياسين بالأمر الهين إنه حادث لا تملك أمامه إلا الصمت. فلن يسعفك أي وصف ولن يشفيك أي ترياق.

- **البعد الفيسيولوجي [المادي أو العضوي]:**

لقد وضح الحبيب السائح البنية المورفولوجية ل "ياسين " وبين المكانة الاجتماعية التي وصل إليها فقال: **"ها هو يحس موت ياسين خنجرا ينغمد في قلبه" لماذا يا قدر تفجعني في إبني، أأخذا مني لدين مالم أعلم أبدا قيمته ولا متى اقترضته؟ وكيف رضيت له أنا أن ينظم إلى جهاز الأمن بدلا اختصاص عال في الجامعة، وكان ذكيا ومثابرا بقدر الذي يخترق أي وظيفة أخرى في الحياة المدنية؟ ألابتلائي أنا العسكري غير الاستثنائي في صفوف جيش الدولة بأكمله؟**[3]" لقد مات "ياسين "ككثير من أبناء هذا الشعب الغالي بأيدي آثمة مجرمة ممن كانت تتخذ من الدين درعا تحتمي به، والدين منهم بريء.

- **البعد الفكري:**

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 47 – 48

[2] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 15

[3] المصدر نفسه، ص 46

لم يتطرق الكاتب إلى البعد الفكري لدى رسمه لهاته الشخصية

-3 شخصية حكيم:

لا يعدّ "حكيم " شخصية رئيسية في الرواية، ولهذا كان ظهوره محتشما في الرواية، فلم يذكر كثيرا، لكننا -من خلال ما أورده الكاتب- نستطيع تحديد أبعاد هاته الشخصية.

- **البعد الاجتماعي:**

لقد عاش "حكيم " مع زوجته طاوس في رقان، وكان طبيبا، يسعى لاستعادة مرضاه صحتهم أولئك الذين كانوا يتوافدون عليه، وقد يمتد هذا حتى ساعات متأخرة من الليل لتبقى زوجته في انتظاره. وهاهي تقول: **"ها إني، في بيتي في رقان، مستلقية في السرير، منتظرة عودة حكيم من مداومته الليلية"**[1].

ولم يحصل مرة واحدة بل تكرر عدة مرات، هاهي الزوجة الحبيبة تقول هذا في موضع آخر: **"وها إني مما نسخته، بعد مسح له على الشاشة، أقرأ عن بعد، كما في أوقات سابقة، بتقطع، في مكتبتي الصغيرة في البيت، إني الان على طاولة المطبخ وحدي، لمداومة حكيم الليلية. إني لا أقاوم جموح ذهني عن الكلمات الظاهرة على الورق إلا ما لابد لبَد منها خلف لسان جدي"**[2].

لم يكن حكيم مجرد زوج لابنة الكولونيل، بل كان فردا من أفراد هاته العائلة. يفرح لفرحهم ويواسيهم في أحزانهم" **فأنا، كما حكيم، لم نعمر فحسب من حول الوالد –كولونيل الزبربر فضائه الذي بات يهوله الفراغ ولكنا أجلينا عنه أيضا بعض ظلمة عزلته، فوددنا، لذلك، لو أنا بقينا قربه. فما من حركة منه والتفاتة أو كلمة وإشارة تجاهنا إلا كانت على هشاشة لافتة. حكيم كان أفصح مني قال لي صراحة" يجب أن نسعى إلى الحصول على النقل إلى العاصمة"، فأجبته" فور انتهاء مدة الخدمة المدنية. "كنت أحس كلمات حكيم الأخرى التي لم ينطقها، مرت على لسانه"**[3].

---

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 13

[2] المصدر السابق، ص 55

[3] المصدر السابق، ص 15 -16

ولهذا فإن كولونيل رأى "حكيم " ابنا ثانيا، قد يعوض وجوده غياب ياسين الابن الذي رحل. وهذا ما عزم كل منهما على أدائه، فيقول الكاتب: **"خلال تلك العطلة التي تقلصت كغفوة، لدى جلوسي إلى مائدة الطعام، لأول عشاء حضرته، كنت تابعت بريق نظرات الوالد –كولونيل زبربر، كمنارة بحرية حزينة، بحثا في وجه حكيم، قبالته، عن أمر أنا الوحيدة المقتدرة على كشفه فإنه كان يرى فيه ملامح ياسين. قلت له ذلك إذ صعدنا إلى غرفة نومنا كنت أعرف، حتى ولو لم يطمئنني بهمسة" سأكون له الابن الآخر"، أنه يكن لوالدي توقيرا بدرجة التبجيل" لعمي جلال قوة جذب سحرية لا يستطيع معها الشخص إفلاتا"**[1].

- **البعد النفسي:**

ومع أن الكاتب كان مقتضبا في الحديث عن "حكيم "، إلا أنه سطر لنا أنه كان يحب زوجته طاوس حبا عظيما. حبا كان همزة وصل بينهما فيقول: **"حكيم، كان همس لي" لأني أحببتك! "**[2].

- **البعد الفيسيولوجي [المادي أو العضوي]:**

يعدّ البعد الفيزيولوجي مهما في معرفة أي شخصية –كيف لا–، وبه ندرك صورة الشخصية ظاهرا وكيف تأثر بهذا باطنا ولما تحدث الكاتب عن هذا البعد في هاته الشخصية قال: **"كيف لا يتذكر لها جسدها كله، كما قبل اثني عاما من ذاك العام، ألما عذبا عذوبة الوخزة، التي تكون باية اهتزت لها أيضا لحظة انفضاض الغشاء، قبل ستة وثلاثين عاما! مثلي قبل ستة أعوام، ولكن في طقس مختلف مع حكيم"**[3].

- **البعد الفكري:**

ليس غريبا أن يعتبر كولونيل زبربر وزوجته باية صهرهما "حكيم " فردا من أفراد العائلة، فيرفعونه من درجة زوج البنت إلى درجة أعلى. إنه كما قال الكاتب عنه"...**هامسا لي في أذني" طاوس،**

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 15

[2] المصدر السابق، ص 34

[3] المصدر السابق، ص 30

فحلتي! لن أخاف عليك "، طمأنته، لأن أمي قبل ليلة كانت قالت لي ذلك بالحرف" حكيم ابن عائلة "[1].

- **4 شخصية العمة ملوكة:**

تعدّ شخصية "العمة ملوكة " من الشخصيات الثانوية في رواية الكولونيل الزبربر للحبيب السائح، إلا أنها نالت قدرا لا بأس به من الوصف، فهي فرد مهمّ من العائلة الكبيرة، وطرف رئيس في الحوارات القائمة والأحداث:

–البعد الاجتماعي:

لقد اكتسبت "العمة ملوكة " مكانة مميزة بين أفراد عائلة أخيها، فهي قريبة منهم، وكلها أذن صاغية لهم. وفي هذا الصدد، يقول الكاتب: **"هاهي العمة ملوكة تروي لابن أخيها خلال عطلته الصيفية الأولى هذه من أكاديمية شرشال" رقية أمك، يا جلال! لا أظن في هذه الدنيا امرأة أحبت زوجها مثلها. ولا في العالم أم فخور بإبن لها تشبهها يوم تجاذبنا الحديث عمن عاودوا الزواج او أحلّوا ثانية وثالثة لأنفسهم ممن كانوا مع مولاي في الجبل، حمدت لله على أنك كنت هذا الرباط القدري الذي شد علاقة أبيك إليها ألا تفصمها غوايته بامرأة أخرى"**[2]. لن يفهم المرأة أكثر من امرأة أخرى تحبها وتحترمها وتقدرها، ولهذا فلم يكن من الصعب على "العمة ملوكة " فهم زوجة أخيها التي لم تُخْفِ عنها شيئا بدافع المحبة المتبادلة والتقدير.

لقد كان لكلام "العمة ملوكة " أثر كبير على كل من يسمعها، كانت تملك قدرة عجيبة على الإبهار، وفي مشهد دراماتيكي يقول الكاتب: **" العمة ملوكة، بمثل هذا لم تدهش فحسب الطفل ابنَ أخيها! كولونيل الزبربر يوم رجوعه من تندوف كان رأى حاله مع باية حال والديه"**[3].

- **البعد النفسي:**

أي نفسية هادئة هاته التي كانت عليها "العمة ملوكة "، إنها بحبها لعائلة أخيها وفطنتها، صارت مستودع أسرارهم، ومستقر أفكارهم. ولقد أخبرنا الكاتب عن جانب من هذه الحقيقة فقال:

---

[1] المصدر السابق، ص 14

[2] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 27

[3] المصدر نفسه: ص 29

"فبأي كلمات البشر كانت رقية حدثت العمة ملوكة عما لا تبوح به امرأة لأخرى غيرها إلا غبطة واشتهاء ثم خيلت لابن أخيها والديه في لحظتهما تلك جنبا لجنب في قارب من ورق أخضر دخل بهما في فيض أفقي أبهر ألوانا من تلك التي لابد تمنياها من قبل ليلتهما الأولى كل من مسافة بعده عن الآخر، متناسيين ما كان عريسان، مثلهما، سينطقانه لبعضهما، كما لم ينطقه آدم لحواء؟ قال العروس" جلال أنا، سأحبك"[1]. إنها بهذا تزيد من حب الابن لوالديه، وتعلقه بهما. بل ترسم له طريقا لكي يسلكه هو كذلك مع زوجته وأهل بيته. فإن السّير لا تذكر إلا للاقتداء والتراجم لا تسرد إلا للعِبَرْ.

ولعل من أبرز ما يدل على النفسية الهادئة ل "العمة ملوكة " نَفَسُهَا الطويل في سرد أحداث والتعليق عليها والتفاعل معها. وعن إحدى تلك الحالات، يقول الكاتب: **" لضحكة العمة ملوكة، ناطقة جملة المدير الأخيرة، كان الألق الذي لا يشع إلا من نفس زكية. قالت لابن أخيها: " سي المهاجي جدك ،كانت له سطوة الأولياء"**[2].

ولذا فلا تستغرب إذا وجدتها في منتهى التعاطف مع من حولها. وفي ساعة الشدة، فهي الكف الحانية، وهذا مشهد يصوّره لنا الكاتب كأنك واقف تشاهده، بقوله: **وكانت العمة ابتهجت، كمن تخرج من حلم سعيد، وحننت بكفيها على خديه حاضنة مؤخرة رأسه إلى بطنها:" رأيتها! رأيت الشمس حورية نزلت عند الغروب بلباس أبيض ومن يدك قادتك. وعند الشاطئ جلست بجنبك. كانت سفنا رمادية ضخمة تغيب وراء الأفق. قالت الشمس: ضخخت في قلبك من ناري ما يشعل تلك البواخر إن عادت "فرفع إليها رأسه، بغمامة دهشة. فانحنت وقبّلته على جبّهته:" ابن أخي سيكون له شأن "**[3].

يواصل الكاتب سرده لهذه المشاهد التي كانت من "العمة ملوكة " ، وبعد أن سرد لنا مشهد مع الابن. ها هو يذكر آخر مع الأب، فيقول: **"وها هي الأخت ملوكة بابتسامة نديّة، اقتربت من**

[1] كولونيل الزبربر، الحبيب السائح، ص 34

[2] المرجع السابق: ص 205

[3] المرجع السابق: ص 211-212

الأخ العائد. أنها تحضنه. تنفصل عنه وتقبّل يده ثم تمسح دمعتين، وقد رحل بها حنينها الى اشراق فرحته إذا ألبسته البرنوس الأبيض ليلة دخلته، على دوي طلقات البارود، كما كانت ستخبر ابنه جلال"[1].

- **البعد الفيسيولوجي [المادي أو العضوي]:**

لقد شكلت "العمة ملوكة " علاقة قوية مع أخيها وزوجته، وهذا ما أوضحه الكاتب بقوله: **"ملوكة، عمة الكولونيل زبربر، لأنها صارت حميمة أمه، رقية، هي التي كانت قالت له مذ وصل خبر عودة أبيك الوشيكة لم تستطع أمك الوقوف على رجلين عجيب، كم كان قلقها جميلا! "**[2].

فهذه العلاقة التي شكلتها العمة ملوكة مع الزوجين مكنتها من معرفة دقائق الأمور، وفهم الكثير من دون الحاجة إلى البوح والإفصاح. إنها تقدر زوجة أخيها وتحترمها، بل تشيد بها وترفع من مكانتها عند ابنها.

لن تستطيع أن تقول شيئا عن "العمة ملوكة " إلا أنها شخصية جديرة بالثقة والاهتمام. وهذا ما أدركه ياسين مما حدا به إلى معرفة الكثير عن أمه بواسطتها، مع أنها كانت قليلة الكلام، لكن قليلها لا يقال له قليل، وهذا ما أوضحه الكاتب فقال:**"إنه يقول إن ذهنه يخلو من أي تصور يريه العمة ملوكة تزايد فهي قليلة الحديث مختصرته إن تكلمت. وإنه ظل يعتقد أنه إن كان هناك أحد يتجاوز حرجه في تأويل كلامها عن حميمية أمه رقية، كما تكون فعلا قاسمتها إياها، فإنه هو لا غيره وإنه من ذلك لموقن: حب كبير لابد يضيق به صدر لا يجد من يبثه حرائقه ولذائذه "**[3].

الحب الكبير، الحزن الكبير، الفرح الكبير. أمور لا تخفى عن الناظرين، ووحدها الأحداث الصغيرة تستحق الرواية. أما تلك الكبيرة، فإنه يحتاج تأملا كبيرا ووقفة أكبر.

البعد الفكري:

لم يتطرق الكاتب إلى أي تلميح حول البعد الفكري وهو يتحدث عن هاته الشخصية

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر: ص 254

[2] المصدر نفسه، ص 23 – 24

[3] المصدر نفسه، ص 28

- **5 شخصية رقية:**

تعدّ "رقية " شخصية ثانوية في رواية كولونيل الزبربر، إذ كان ظهورها قليلا بين صفحات الرواية. ولكن مع هذا، فقد استطاع الكاتب أن يرسم لوحة متكاملة لها ولو باقتضاب.

- **البعد الاجتماعي:**

لقد أخبر الحبيب السائح عن "رقية " أنها امرأة لها هيبتها وقدرها بين أفراد العائلة الكبيرة. وهي في نفس الوقت، محبة لزوجها موقرة له، وهذا ما أخبرنا به الكاتب على لسان العمة ملوكة حين قال:" **رقية أمك، يا جلال! لا أظن أن في هذه الدنيا امرأة أحبت زوجها مثلها"**[1].

- **البعد النفسي:**

إن حب "رقية " لزوجها لم يكن أمرا مكتوما، فالحب الحقيقي لم يكن أمرا يعاب، فهاهي تقوله للعمة ملوكة، وتبوح به لها، حيث تقول: **"إن رقية تكون باحت لملوكة أيضا بكلام مثل" أحب أخاك. وهو مفتون بي. نحن قرينان مثل زوجي حمام...لم تتسارعين لأي داعٍ؟ "وتنهدت" شوقا إليك يا مولاي. آه، لو أنك تسمع ندائي! "**[2].

ولم يكتف الكاتب بموضع واحد يبرز فيه مدى حب رقية لزوجها، بل قال في موضع آخر **"...قمري في خلقة بشرية لضربات جناحية موجات بحر متطاردة إلى ضفة كانت الأم صارتها رملا فوقها انتشر فتلاحفا ثم سكنا رجلا في امرأة: مولاي ورقية"**[3].

- **البعد الفيسيولوجي [المادي أو العضوي]:**

لم يتطرق الكاتب في وصفه ل "رقية " إلى تفاصيل جسدها، ونحو ذلك.

- **البعد الفكري:**

لم يغفل الكاتب الجانب الفكري وهو يصف لنا "رقية "، بل أخبرنا أنها كانت محبة للعلم، تود لو أن ولدها يتابع تعليمه في الإكمالية، ثم إلى ما بعدها، فقال الكاتب في هذا الصدد: **"رقية كانت**

[1] المصدر السابق، ص 27

[2] المصدر السابق، ص 28

[3] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 29

ستخرج من غرفة حميها السي المهاجي: أبيها كما يبغي أن تناديه، لما كان أجلس الحفيد في حجره ولفه ببرنوسه ونطق له، يسمعها بعد أن وضعت أمامه صينية القهوة وتراجعت واقفة جنب العمة ملوكة" أنت يا جلال، باباك غدوة راجع. وسيأخذك إلى الإكمالية"[1].

فلم تكن "رقية " شخصية متسرعة، بل كانت هادئة. تزن الأمور وتقف حيث ينبغي لها ذلك. قال الكاتب: **"فكرت رقية، ذلك ما كان طفلها سيعرفه من العمة ليث أنها همزت جسد الليل الغافي ففتح جفنه فأشرق الصبح! كانت تشهق. كان يسمعها، كمن تهمس نشيدا" مولاي العزيز، قتلت من أجلي، فكيف لا ينبض قلبي إلا لك! "أذوق من نبرة العمة ملوكة نقعا من الغيرة! "[2]**، وهذا ما أكسبها ثقة الجميع واحترامهم.

- **6 شخصية سي المهاجي:**

مع أن شخصية " سي المهاجي " من الشخصيات الثانوية في رواية الكولونيل الزبربر للحبيب السائح، إلا أن الكاتب وصفه لنا بكيفية دقيقة، تجعلنا نأخذ صورة جميلة عن هذا المجاهد البطل الذي أنجب ابنا وحفيدا يضرب بهما المثل، وقد تجسدت هاته الصورة في الأبعاد الآتية:

- **البعد الاجتماعي:**

ككل العائلات الجزائرية كانت دار الجد والجدة هي الحلبة التي يتعارك فيها الصبيان، يلتقي فيها الأبناء والبنات. فقد كانت مجمع العائلة، وملتقى الأحباب. وقد وصف لنا دار عائلة الجد " سي المهاجي "بقوله: **"بدار الجد سي المهاجي هناك في الحاكمية، دار كانوا رجعوا إليها قبل شهر إثر استكمال دراسته بنجاحه في مسابقة السنة السادسة"[3]**. فلم يزل الجد سندا لأبنائه وأحفاده. وعلى هذا، لم يحد سي المهاجي عن ذلك قيد أُنملة، فقساوة الحرب لم تزد من قلبه إلا حنوا وعطفا وحنانا على أبنائه.

لم تكن سيرة الجد عن حفيدته كاملة، كانت أشبه بسلسلة فقدت حلقات منها، وأي كان السبب فإن النتيجة واحدة. ولعل ما أُفل حين الكتابة سُمع من الوالدين، وقد رصد لنا الحبيب السائح

[1] المصدر السابق، ص 29

[2] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 31

[3] المصدر السابق، ص 23

هذه الحقيقة فقال: **"إنه لتلك الفراغات في سرد سيرة جدي، ظننت أول مرة أن والدي يكون هو من غم عليها بالقطع، قبل أن أعزوا ذلك إلى داع ذي صلة بأسبقية ظرف الحرب، فمن غير المنتظر من جندي مثل جدي في جيش التحرير يخوض مواجهة غير نظامية أن يصرف وقتا لاسترجاع ذاتيات لن تجد من يهتم بها، كما يكون ظن. وقد خامرني أنه قد يكون هناك بعض مما دونه قد أتلف أو ضاع، لا غير**[1]. إنها احتمالات كثيرة والنتيجة واحدة. وأيا كان السبب، فمرارة الفقد لن تفارق قلب الأب ولا الحفيدة، فليس من السهل موت رجل كهذا. إنه شخص غير عادي فسيرته لن تكون عادية، إنه رجل عاش على مبدأ قاتل دونه وحمى حماه، ولم يزل على عقيدته تلك حتى توفاه الله.

- **البعد النفسي:**

لنفسية " سي المهاجي " تركيبة رائعة جدا تجعلك تقف له احتراما، وتُبدي له كل معاني التقدير. ولهذا فلم يتمالك مولاي بوزقزة وهو يشاهد جده، إلا أن يقف. وعن هذا الجد يقول الكاتب: **ثمة، هو الطفل، ها هو يقف في حوش يتوهّمه ضاق عن أن يستوعب، إلى جانب الأم رقية، العمة ملوكة والجدة لالا صفية والجدّ سي المهاجي، الذي خرج الآن من حجرته في برنوسه الصوفي الأبيض وعمامته الصفراء المرقومة بخيوط مذهبة وحذاءه الجلدي التقليدي الأسود، وقورَ المظهر شامخ الأنف، بهذه اللحية المشتعلة المخففة والنظرة السمحة اللتين للأولياء تغمرانك طمأنينة وسلاما فتشعر أن جوانحك كلها حوّمت نحوه"**[2].

وهذه الهيبة التي كانت قد ترسخت في عائلة " سي المهاجي " تجاهه، لم تخلق منه رجلا متكبرا ولا متعجرفا، بل جعلته أكثر مسؤولية تجاههم واحتراما لهم وتقديرا لجهودهم، وقد رسم لنا الكاتب صورة عن هذا، حيث يقول: **" سي المهاجي الجد، يشهق ابتهاجا بهذا الابن العائد بوقْع المجْد بألوان الغابة كلها، متجلي الفخامة في لباس الجندية. ها هو يحضنه. يشمه يستنشق من روائح أشجار الزبربر وأعشابه، كما الحفيد جلال كان سيتنفسها يوما"**[3].

---

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 56 – 57

[2] المصدر نفسه: ص 252

[3] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر: ص 254

- **البعد الفيسيولوجي [المادي أو العضوي]:**

لقد كان ل " سي المهاجي " دورا مأثرا في حياة ابنه مولاي بوزقزة، فلم تبرح ذكراه تلوح المرة تلوى الأخرى وتقفز إلى الذاكرة. وقد صور لنا الكاتب هذا المشهد، لما قال على لسان الحفيدة: **"فيما كان مولاي بوزقزة يفكر، ومن كان يتذكر أكثر: والده، الجد سي المهاجي؟ أخته العمة ملوكة؟ زوجته رقية؟ ابنه الوحيد'' أنا؟ آه، يا أبي النبيل! "**[1]. لقد فكرت الحفيدة في كل الاحتمالات، وما الذي كان قد طرأ على الذاكرة في تلك الساعة، ومهما كانت الاحتمالات، تبقى التنهيدة الأخيرة اختصارا لأوجاع لا تكتب باليد، بل تحس بالقلوب.

وفي ليلة العمر، وككل العائلات الجزائرية في تلك الحقبة، يلبس العريس برنس أبيه، إنه بهذا يرث إرادته وعزمه على بناء أسرة جديدة، كتلك التي بناها أبوه ببنيان أقوى وعلاقة لا تعصف بها الرياح. ولم يكن لمولاي أن يخالف هاته العادة، وهذا ما أوضحه الكاتب حين قال: "...**تلك الليلة منتصبا أمامها في برنوس أبيض، برنوس الجد السي المهاجي تمثل مولاي لرقية طيفا أشبه حقيقة رجل تماما** "[2]. إن لهاته العادة الرائعة رمزية عظيمة في نفوس من عايشها وعاصر أهلها. فالأمر أكبر من برنس أبيض يلبس.

- **البعد الفكري:**

لقد حرص " سي المهاجي " على تربية أفراد أسرته تربية جيدة، ومن أبرز معالم هاته التربية، سعيه بكل الطرائق إلى تعليم أبنائه، في وقت كان التعليم أشبه ما يكون حكرا على أشخاص معينين، أتى آباؤهم من مكان خلف أمواج البحار. وقد ذكر لنا الكاتب هاته الحادثة حين قال: "**فسي المهاجي، مذ صعد الى الجبل ابنه مولاي فاضطر إلى النزوح إلى مدينة سور الغزلان، التي كانت له فيها دار ورثها عن أمه، حرص على أن يتعلم حفيده بين المدرسة القرآنية وبين المدرسة الفرنسية التي اتصل بمديرها، وكان من المسلمين الجزائريين المتخرجين من دار المعلمين في بوزريعة بالعاصمة طلب إليه عقد ميلاد الطفل وبطاقة التلقيح لتسجيله فقدم له الوثيقتين فأغلق باب مكتبه**"[3].

---

[1] المصدر نفسه، ص 60

[2] المصدر نفسه، ص 31

[3] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 204

ما أجمل أن ترى أثر تربيتك الطيبة ماثلة أمامك، سعادة لا توصف وإحساس لا يقيّم. وبما أن " سي المهاجي "كان رجلا بكل ما تحمله الكلمة من معاني الرجولة، فهاهو يبارك للابن؛ إذ يسير في نفس خطاه، ويتبع آثاره الطيبة هنا وهناك. وعن كل هذا، يقول الكاتب: **"وكان الجد سي المهاجي قال:"نعم يا ولدي، حانت ساعة رفع هذا الظلم. إن كانت تربيتي لك ستثمر شيئا فإنه سيكون إرادتك وإرادة الرجال الأحرار في إزالة هذا الظلم، بعقولكم أنتم وأيديكم سيشرق صبحنا. إذهب، بمرضاتي وبركاتي"، رادا على ابنه مولاي إذا أخبره أنه قرر الالتحاق بصفوف جيش التحرير. كان ذلك بعد ليلة من مرور سي المفتاح تمة بالبيت لآخر مرة"**[1].

ولهذا فإنه سيحز في نفسه تلك الخروقات الفادحة التي يشاهدها أمامه، ولأنه رجل لا يعرف الضعف والاستسلام، فإنه لن يزكي خرقا فادحا جسيما مثل الذي شاهده، وها هو يبوح لابنه بكل هذا قائلا: **" كان سي المهاجي قال لابنه مولاي وهو يرفع له الشهادة لحزة احتضاره تزامنا مع صوت رجل الجزائر القوي الجديد النابع من الراديو: "لقد فرض سوء التسيير التراث الوطني وسلب الأموال العمومية، و اللاستقرار والديماغوجية والغوغائية والكذب والارتجالية، كمنهج للحكم من خلال التهديد والابتزاز وانتهاك الحريات الفردية وضبابية المستقبل، وُجد بعضنا يتعرق للخضوع وبعضنا الآخر للخوف وللسكوت والاستسلام كان ذلك في 19 جوان 1965 يوم عاد المراهق جلال من مدرسة أشبال الثورة يقضي عطلته الصيفية الثانية "**[2].

وبعد هذه الإطلالة على الرواية وشخصياتها ودراسة أبعادهم، لابد من التنبيه أن شخصيات الرواية تنوعت وكثرت، بحيث من الصعب أن يدرجوا ككل في هاته المذكرة بالإضافة إلى أكثرهم كان ظهوره قليلا، بحيث لن تستطيع دراسة كل أبعاده، ولهذا اقتصرنا على الشخصيات التي ظهرت أبعادها الأربع في هاته الرواية، حتى يكون عملنا متناسقا.

ويحسب للكاتب دقته في رسم أبعاد كل شخصية سواء على حدى أو في ضمن إطار شخصية أخرى.

[1] المصدر نفسه: ص 253-254

[2] المصدر نفسه: ص 256

ملاحق

1. ترجمة موجزة للكاتب
2. ملخص لرواية كولونيل الزبربر
3. ملاحظات على بعض الأفكار الواردة في الرواية وبعض الصيغ

ملاحق

- **ترجمة المؤلف الحبيب السائح [1]**

هو روائي جزائري من مواليد 1950 بمنطقة سيدي عيسى ولاية معسكر، نشأ في مدينة سعيدة، وتخرج من جامعة وهران **ليسانس آداب ودراسات ما بعد التخرج** 1980، اشتغل بالتدريس وساهم في الصحافة الجزائرية والعربية، غادر الجزائر سنة 1994 متجها نحو تونس حيث أقام بها نصف سنة، قبل أن يشد الرحال نحو المغرب الأقصى، ثم عاد بعد ذلك إلى الجزائر، ليتفرغ منذ سنوات للإبداع الأدبي قصة ورواية ولقد فاز بجائزة الرواية الجزائرية عام 2003.[2]

مساره المهني:

1. أستاذ سابق في المعاهد التكنولوجية للتربية.
2. أستاذ سابق مشارك في جامعة التكوين المتواصل.
3. اشتغل في وزارة التربية أستاذا ثم مفتشا
4. موظف بدار الثقافة بولاية أدرار.[3]

بعض أنشطته:

1. مؤسس النادي الأدبي في جريدة الجمهورية.
2. مؤسس فرع الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان في سعيدة.
3. عضو مؤسس الجمعية الجاحظية بالعاصمة.[4]

---

[1] بلخيرة أحلام وديف إسماعيل، بنية الشخصية في رواية كولونيل الزبربر، تحت إشراف الدكتور مرسلي عبد السلام، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس(ل.م.د) في الأدب العربي، تخصص نقد ومناهج، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة، سنة 2019-2020 م ، ص122

[2] ديداوينجاة وديداويميمونة، أبعاد السياق الاجتماعي في رواية كولونيل الزبربر، تحت إشراف الأستاذة د. حاكم عمارية، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس(ل.م.د) في الأدب العربي، قسم اللغة العربية والأدب العربي تخصص دراسات أدبية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة، سنة 2016- 2017 م ص 7

موقع جائزة كتارا للرواية العربية https://www.kataranovels.com/novelist-

[3] المصدر نفسه نفسه 7

[4] المرجع نفسه

من أهم أعماله ومؤلفاته الروائية المشهورة بالعربية:

1. **زمن النمرود** .رواية. (م.و.ك)، الجزائر، 1985.
2. **ذاك الحنين** .روايةCMM .، الجزائر، 1997. دار الحكمة، الجزائر، 2007.
3. **تماسخت** .رواية. دار القصبة. الجزائر، 2002. وطبعة جديدة، دار فيسيرا للنشر، الجزائر، 2012. دار فضاءات (الأردن) ودار ميم (الجزائر)، 2016.
4. **تلك المحبة** .رواية. منشورات .ANEP الجزائر، 2002. ط 2، دار فيسيرا للنشر، الجزائر، 2013. دار فضاءات (الأردن) ودار ميم (الجزائر)، 2016.
5. **مذنبون لون دمهم في دمي** .رواية، دار الحكمة، الجزائر، 2009. طبعة 2، 2013.
6. **زهوة** .رواية، دار الحكمة، الجزائر، 2011.
7. **الموت في وهران. رواية**، دار العين، القاهرة، مصر، 2013. دار فضاءات (الأردن) ودار ميم (الجزائر)، 2016.
8. **كولونيل الزبربر** .رواية، دار الساقي، لبنان، بيروت، 2015.
9. **من قتل أسعد المرّوري** .رواية، دار فضاءات (الأردن) ودار ميم (الجزائر)، 2017.
10. **أنا وحاييم** .رواية، دار مسكيلياني (تونس) ودار ميم (الجزائر)، 2018[1].

أعماله الروائية المترجمة إلى الفرنسية:

1. **ذاك الحنين** .دار القصبة، الجزائر، 2003Un amour de papillon .
2. **تماسخت** .دار القصبة، الجزائر، 2003Tamassikht .
3. **تلك المحبة** .دار الحكمة، الجزائر، 2012Cet amour-là .
4. **مذنبون لون دمهم في كفي**، دار الحكمة، الجزائر، 2014 Sur ma main encore le sang des coupables[2].

[1] موقع جائزة كتارا للرواية العربية-https://www.kataranovels.com/novelist

[2] المرجع نفسه

تَرجم هو إلى العربية:

1. L'honneur de la tribuشرف القبيلة، رواية. رشيد ميموني.
2. Il n'y a pas de hasard –لا وجود للصدفة، مسرحية. جمال عمراني.
3. Entre la dent et la mémoireبين السن والذاكرة، شعر. جمال عمراني.
4. Le soleil de notre nuitشمس ليلنا، نثر. جمال عمراني.
5. La double présenceالحضور المزدوج، مذكرات. بتول فيكار ـ لمبيوت[1].

2- ملخص الرواية:

من أول وهلة تجذبك الرواية حتى في أدق تفاصيلها ،عنوانها المميز كولونيل الزبربر مع صورة لرجل بلحية تدل على الرجولة، تدقق قليلا لتجد أن دار النشر ليست جزائرية فمثل هكذا روايات لا تُطبع في بلادنا الحبيبة ،فإذا قلبت ناظريك بين صفحاتها ستتضارب في روحك المشاعر وتتلاطم تلاطم أمواج فتستعد تارة وتبكي أخرى وستتعاطف مع شخصية وتكره أخرى، لتجد نفسك في النهاية تُؤدي التحية للكاتب والمؤلف الحبيب السائح وإن اختلفت معه في بعض الأفكار وإن عاتبته على بعض الألفاظ، لكن لن تنكر أن له مُكنة في تطويع الألفاظ وتشكيل الجمل.

رواية ذات أحداث تاريخية لكنها ليست رواية تاريخية بحتة، شكل فيها الواقع المر و الماضي الأليم مزيجا من التداخل ،بالإضافة إلى التخيل الذي خفف بعض الواقع وعراه في آن واحد، تستطيع أن تقول إن الرواية تناولت مراحل تاريخية ثلاثة ولكل مرحلة رجالها ونساها كذلك، ففترة الثورة طغت شخصية مولاي بوزقزة عليها وأحيانا قليلة مولاي الحضري ولالا صفية ،وما إن انتهت هاته الفترة حتى دخل الكاتب في فترة أخرى سيطر عليها الكولونيل الزبربر وزوجته باية ،وما كادت هاته الفترة تنتهي حتى كان لشخصيتي الطاوس وحكيم وياسين الدور الكبير ،وإن كان لطاوس أكبر دور إلا أن موت ياسين كان شكل منعرجا في هاته المرحلة مرحلة العشرية السوداء، إنها ثلاث مراحل متداخلة ومتفرقة في آن وساعد على هذا وذاك كثرة الشخصيات وتعدد الأحداث فلكل شخصية في الرواية شخصية صديقة وأخرى عدوة .

[1] المرجع السابق

ابتدأ الكاتب روايته من آخر المراحل حيث لم يتبقى إلا الطاوس وزوجها حكيم، كان والدها الكولونيل الزبربر يقضي آخر أيامه وكل الشخصيات الأخرى كانت قد فارقت مسرح الأحداث بل مسرح الحياة بأكمله، تستلم من أبيها ملفين في مفتاح فلاش ديسك لم تفتحه في بيت العائلة بل انتظرت حتى تذهب إلى رقان وتقوم بهذا أبدت سببا مقنعا لهذا الرأي لقد كان لهيبة الوالد ظل في كل أرجاء البيت، وفي هذا الابتعاد ما يحفظ للبوح سرا ولعل دمعة تنزل في سحر الليل أو تنهيدة فلا يعلمها إلا الله.

لم يكن لفا عاديا فقد حوى كل جشع الساسة أخطاء القادة الكارثية من إعدامات لأشخاص كان المفروض أن يكونوا هم في القيادة ويتسلموا الريادة، لكن الطمع يغلب العقل والمصلحة سلاح فتاك ومدمر ،طاوس امرأة طبيبة أطفال وهي الزوجة الوفية المحبة لزوجها حكيم ورثة إرادة الرجال وعزيمتهم ومسؤولية لا يقدر الجبال على حملها ،إنها يوميات أبيها وآراءه وشيئا من يوميات جدها وطموحاته لم تكن يوميات عادية بل كانت مصبوغة بالدماء وأشلاء الشهداء وبسم القادة الانتهازيين والعسكر الجشعين والساسة الطامعين، إنها يوميات تدخلك في قوقعة من الكآبة إذا أدركت أن هذا ما حصل حقيقة وأن كل ما كان يروج له في الكتب المدرسية كان جزءا بسيطا من الحقيقة وأكثر ما وقع كان مخفيا بعناية والوقت أكبر فاضح للمستور وكاشف للمقبور ،وحيدة تنتظر عودة زوجها تفتح الملف على حذر ووجل وأمل وخوف مشاعر متضاربة سيصل مداها إلى القارئ شاء أم أبى ،تفتح الفلاش ديسك وكأنها تمشي في حقل ألغام خطوة واحدة خاطئة وتتبعثر الحياة ويتمزق هذا البدن.

ولأن بوزقزة أكثر شخصية حاضرة في هاته الرواية والذي مثل الفترة الاستعمارية شخص أقل ما يقال عنه قائد محترف يدرك جيدا ما له وما عليه ،جمع حوله رجال أشاوس أدركوا ضرورة القتال لدفع هذا الظلم الجاثم على صدورهم كان يدرك ضراوة الحرب التي يخوضها ضد جيش لا يستهان به هذا الجيش الذي استخدم كل الطرق الجائزة في الحرب و الممنوعة فيه، لم يتوانى في توظيف أناس من بني جلدتنا يتكلمون بألسنتنا لهم قلوب الذئاب وجلودهم مع خصال خبيثة تصلح أن تجعل منهم حثالة البشرية وزبالة ما أنجبت النساء، ليس الكل على هذا التدني فالبعض إنما صنع هذا رغما عنه فالحرب ظروفها التي لا يعرفها إلا من عايشها فإن كان البعض قد رفض الخضوع وكان الثمن حياته فالبعض

رضخ للابتزاز وكان الثمن رجولته ،في زمن كانت الرجولة عملة غالية الثمن فصارت عملة نادرة في زمننا هذا.

ولم يكتف الكاتب في وصفه لمولاي بوزقزة بذكر مشاهد الحرب بل ذكر شيئا من طفولته وكيف كان سي المهاجي حريصا على تعليمه التعليم الديني والأكاديمي وكيف تزوج بل وحتى طرفا من ليلة دخلته، كما وصف لنا مواقفه وآراءه وجرأته على قادته في سرد الأخطاء وذكر الخروقات الفادحة وهذا ما سبب له المشاكل خاصة لما رفض بعض أوامرهم.

ولم ينس الكاتب ذكر أخطر مرحلة مرت بها الجزائر بعد الاستقلال حيث رفع الكل سلاحه اتجاه رفقاء الأمس وعلى صوت الطمع وخفت صوت الحق و مصلحة البلد، حيث الكل يريد قطعة أرض يقيم عليها مملكته الخاصة هذا الاعتقاد نفسه سيطفوا مجددا على الساحة لكن بلون آخر وهذا ما سيعيد للذهن فكرة أن الفكرة نفسها تكررت ولكن بوجوه جديدة وبنفس العقلية، هاته الجبال التي يعرفها مولاي بوزقزة حجرا حجرا ومسلكا مسلكا وذلك البيت الذي عاش فيه طفولته في بلدة الحاكمية هذا القائد البطل و المقاتل الفخر كان يسبق جنوده إلى المعارك ويقاتل جنبهم، لعلمه أنه إنما يقتل لأجل مبدأ لا لأجل مكسب وهذا ما جعل عنده بصيرة في معرفة الرجال وكمدا وحزنا على فراقهم حزنا أشبه ما يكون بوخز الإبر .

ينبه الكاتب في روايته هاته على أمور كانت بالأمس القريب طي الكتمان لا يجرئ أحد على ذكرها أو الحديث عنها ،مجازر فرنسا اللئيمة في حق الجزائريين مشاهد الاغتصاب الجماعي التي كان تتم في مراكز الاعتقال حيث يتناوب الكثير من الكلاب على امرأة واحدة مجارز الحركى في حق أبناء جنسهم نذالة الساسة الجشعين و القادة المحتالين، قد تغير هاته الرواية قناعتك عن المجاهدين فلم يكونوا كلهم ملائكة فالبعض خان الأمانة و البعض ضحى برجاله من أجل مكاسب يراها من وجهة نظره دقيقة و البعض قتل بلا رحمة ولا هوادة فلم يكن الكل على تلك الدرجة من المسؤولية ،بل البعض إنما دُس في اللحظة الأخيرة من المعركة ومع علم القيادات بأسمائهم إلا أن الغريب أنهم كانوا محل ثقة عندهم ربما ابتزازهم بماضيهم ضمن ولاءهم وربما اتفاق مصالحهم هو من جعل من هذا المزيج الغريب شيئا حقيقيا بعدما كان ضربا من الوهم .

فإذا كان مولاي بوزقزة أكثر الشخصيات ظهورا في صفحات الرواية فإن كولونيل الزبربر أكثر شخصية بعده رجل قرر أن يسير على درب أبيه وينظم إلى جيش التحرير الوطني ليساهم في بناء بلد دفع في سبيله أبوه وغيرهم من الشرفاء الغالي والنفيس، أخبرنا الكاتب كيف تعرف على زوجته باية بل سرد لنا ليلة عرسهما وأدق تفاصيل علاقتهما الحميمية.

هذا الزواج تُوج بابن اسمه ياسين وبنت اسمها طاووس ولم يكد أهل هذا البلد العزيز يستريحون من ويلات الحرب حتى اجتاحت هذا الشعب الطيب موجة أخرى من العنف الذي لبس صانعوه لباس الدين بينما ارتدى المعادون لهم رداء الدفاع عن الديمقراطية، فالكل صار مستهدفا وطرفا في هاته الحرب القذرة الحياد لم يكن ينفع فإما أن تكون مع الجيش بكل عيوبه ومميزاته أو تكون مع الجماعات المسلحة بكل عجلها وبجلها ،ووقوفك إلى جانب طرف يعني أنك خصم للطرف الثاني تُمارس عليك بموجب هذا كل الأساليب الوحشية و الغير أخلاقية فليس في الحرب وسائل قانونية لفرض منطق معين أو فكرة معينة .

يسرد الكاتب لنا كيف توسط ياسين لكي ينقذ مجموعة من المواطنين الذين احتجزهم طلحة هذا ما تسبب في وفاته وقتله على يد هذا الأخير وجنود خلافته المزعومة، موت ياسين كان مثل القطرة التي سقطت على سطح بركة من ماء أحدث دوائر لا متناهية فآثار موت ياسين أثر على كل أفراد العائلة الأب الأم الأخت الكل تأثر بهذه الوفاة، فدس كولونيل الزبربر عليش ليكون عينه التي ترى كل شيء دسه وسط الجماعات الإسلامية لينقل له كل تحركاتهم، في نفس الوقت استخدم فهيمة لاستدراج قاتل ابنه وما إن ظفر به حتى قتله بطريقة بشعة جدا ،مشاهد القتل كانت كثيرة في الرواية فقد أخبرنا الكاتب بمعارك مولاي بوزقزة مع الاستعمار ومعارك الجيش ضد الإسلاميين فأخبرنا مثلا كيف حاصر الجماعة الإرهابية وكيف فر زغدان وكيف تم قتل كل المجموعة بغاز سام تم تسريبه في الكهف لم يخبرنا الكاتب ببشاعة الجيش الجزائري و الجماعات الإسلامية بل أخبرنا قبل هذا بمجازر الاحتلال الفرنسي والحركى، وكيف كانوا يغتصبون ويقتلون ويعذبون في مشاهد تبعث في النفس رغبة شديدة في البكاء، لقد احتوت كراسة مولاي بوزقزة كل مشاهد الحرب القاسية خيانات وغدر وخيانة هاته الكراسة التي

أصبحت فيما بعد عند كولونيل الزبربر أضاف إليها الكثير مما شاهده وتركه في فلاش ديسك لابنته الطاوس، التي ورثت بعده كل هذه المشاهد و الحقائق التي لم تُدرس في المدارس ولم تُقرأ في الكتب .

تتوالى الأحداث وتكثر معها الشخصيات ليحدثنا الكاتب عن مطامع الساسة وكيف أوصلتنا نظرتهم الضيقة إلى أن رفع بعضهم السلاح في وجه بعض وكيف استغل هذا الوضع دولة على حدودنا لتحاول واهمة الدخول إلى موطننا الغالي العزيز، وكيف أن قادة الفصائل كانوا يقتلون لأتفه الأسباب من قاتل معهم لشبهة صغيرة يتم تعذيب الجندي ليتعرف بأمور لم تخطر له على باله حتى، وكيف أن بعض الجنود وبعض القيادات أيضا قاموا بتسريب معلومات حطمت جهود سنوات وأدت إلى قتل خيرة الجنود والضباط.

ولم تتوقف هاته الحماقات فحتى بعد الاستقلال قتل الجيش خيرة أبناءه بوشايات جنود الدقيقة التسعين، إنه تخريب لكل المكتسبات وتحطيم لكل الآمال، مما أدى بمولاي بوزقزة إلى اعتزال الحياة العسكرية ليموت في النهاية في مستشفى وبجسده ألف ألم وغصة.

ومع كل مشاهد العنف والدماء لم تخلوا الرواية من مشاهد الحب والزواج فقد أعلمنا الكاتب بمشاهد من زواج كولونيل الزبربر وباية، وكيف قام بأسر قلب فتاة الثانوية التي كانت مبهورة به وكذلك بمراسم زواج حكيم بطاوس وبطرف من قصص الحب واللذة التي كانت بين العمة ملوكة وزوجة أخيها، وبين الأزواج بعضهم ببعض وصفها بدرجة دقيقة قد يلام عليها، العمة ملوكة الشخصية المحببة لدى كل أفراد العائلة المرأة البتول التي قضت حياتها عزباء وماتت كذلك.

وهاهي المنية تخطف أفراد العائلة واحدا واحد فتوفي سي المهاجي وزوجته لالا صفية وتوفي مولاي بوزقزة وتوفيت باية وياسين، بينما سافرت طاوس لرقان للعمل مع زوجها حكيم بقي كولونيل الزبربر وحيدا بين جدران هذا البيت تحاصره الذكريات وتحز في نفسه المآسي والمصيبات، فاتخذ من الكتابة وسيلة للتنفيس عن بعض ما لاقاه لعل في الكتابة بصيص أمل ليخلف ما خلف لابنته الطاوس.

مع أن الرواية حملت أحداثا تاريخية لكن يحسب للكاتب أنه لم يجعل منها رواية تاريخية، كما يحسب له كثرة الشخصيات وتعدد الأحداث وكثرة الوقائع والحقائق، وإن كان أحيانا يخرج عن عهدة المألوف ليسجل كلمات وألفاظ غير لائقة ولا ينبغي أن تسطر في رواية قد تكون لدى الصغير والكبير.

3 ملاحظات على بعض الأفكار الواردة في الرواية وبعض الصيغ

ومن خلال العنوان الوارد يدرك المتصفح أنه سيكون أمام انتقادات للكاتب وحينها سيتساءل لا محالة ما الدافع إلى مثل هكذا عنوان؟ فلتعلم أن هذه الانتقادات لن تقلل من قيمة الرواية ولا من أهميتها، وإنما دفعنا إليها الذهول الذي أصابنا كدارسين لهاته الرواية ونحن نقلب صفحاتها ولطالما خفت صوت القارئة منا وهي تمر على بعض الألفاظ أو الجمل فكان الاقتراح أن نجليها لقارئ حتى يكون على علم بما هو قادم على قراءته أو دراسته.

ولن نستقصي كل تلك العبارات ولا تلك الجمل فإن هذا يطول ذكره وقد يورث الملل لدى قارئه، فكان الاختيار على بعض أفظع الألفاظ وأسوء العبارات وقسمناها إلى قسمين قسم الأفكار الواردة وقسم الألفاظ السيئة.

أ الأفكار الواردة

تناول الكاتب في روايته كولونيل زبربر شخصيات عديدة ومنها مولاي بوزقزة وصدره لنا على أنه مجاهد بطل قد لا نجد مثله، لكن في المقابل لم تكن هاته نظرته إلى كل أولئك المجاهدين الذين رفعوا السلاح ضد المستعمر فقال عن بعضهم: **وكان والده مولاي أجابه الشهداء وحدهم تُبَدل وجوههم إلى هيئة ملائكة لأنهم لا يموتون لما سألته في يوم من أيام عطلته الربيعية في سنته الرابعة في مدرسة أشبال الثورة لماذا تغير كثير ممن عاهدوا على أن لا يخونوا الأمانة وكان يضيق بأسئلة أخرى ترسبت في ذهنه من هذه الأحاديث الليلية التي كانوا يتبادلونها ، هم الأشبال الذين يحمل كل واحد منهم مخزونا من التذكارات الأليمة ، أيضا، وكمّا أكبر من الصور و المشاهد و الحكايات عن جنود من الأقارب أو الجيران من المتزوجين منهم خاصة أولئك الذين بدلوا نساءهم أو أضافوا إليهن والذين استولوا على سكنات ومحلات وعلى أراض أيضا** [1]وقد يستساغ كلامه لو أنه تكلم عن فئة قليلة فكلنا نعرف مجاهدين الدقيقة التسعين ومن كان من الحركى ثم صار بقدرة قادر مجاهد شرس وسماع تضحياتهم يصيبك بنوبة من الضحك الهستيري.

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 25

ولم يكتف بهذا الموضع بل ذكر في موضع آخر نحوا من هذا بل أشد حين قال: **من أين لك يا رفيق إجابة سحرية في ظل هذه الظروف العصيبة من الانفراد بالقرارات واستشراء الحزازات واستيقاظ وحش الجهوية في الصدور وضغط الحرب عسكريا ونفسيا** [1] إنه يرجع كل تلك التجاوزات إلى حزازات شخصية وعقلية جهوية، لم يستطع أصحابها السيطرة عليها فكانت النتيجة قتل خيرة الضباط الأكفاء والجنود الأوفياء.

وإن أردت أن تعرف شخصية أخرى تورطت في هذه المسرحية الهزلية فإن الكاتب يقص لك كل هذا فيقول: **"احتمل مولاي بوزقزة أن سي الناجي سيتخذ ذلك ذريعة بأن يتهم النقيب حطابي بتدبير الخطة للاستيلاء على المبلغ، ومن ثمة أن يتخلص منه، منعا لترقيته بدلا منه، إلى رتبة رائد"** [2]

وماهي إلا بضعة أسطر ليقول المؤلف: **" فمثل هاجس ظل يلح عليه أن سي الناجي هو من يكون عزل خيوط الدسيسة ليقضي على منافس مفترض كفء ويستحوذ على المبلغ المالي"** [3]إنها الأنانية السم النقع في جسد الثورة، الأنانية التي كانت سبب في انتكاسات وخيبات وآلام وجروح.

ولم يتوقف الأمر عند بعض القادة الصغار بل توسع هذا الأمر حتى اشتمل قادة النواحي الجهوية، فيقول الكاتب في هذا الصدد: **" أتفهم أن يسقط شهيدا جندي، فدائي، مسبل، خيط الاتصال، أو أن تهن عزيمة أحد فيرتدّ. لكن كيف يقع، مثل طريدة، قائد في كمين؟ كيف يلقى القبض على ضابط أو مسؤول فلا يقاوم ويسدي للعدو خدمات تهدم ما بناه الجهد والتنظيم والتضحية؟ "فيسوق له" أولئك نعرفهم فنحتاط عند وقوعهم. الخطر يأتي من داخل صفوفنا من بعض هؤلاء الفارين من الجيش الاستعماري إنها المؤامرة! "ويحذره قائد الولاية" وهي لا تستثني**

[1] المرجع السابق، ص 134

[2] المرجع السابق، ص 134

[3] المرجع السابق، ص 134

أحدا "[1]هل لمح الكاتب بهذا أن الجبهة كانت مخترقة داخليا؟ قد يكون هذا أمرا منطقيا، لأن حرب الجوسسة متزامنة مع حرب البنادق لكن أن تصل إلى القادة الكبار هذا أمر يبعث على الحيرة والدهشة.

هذا الاختراق وصل إلى الجنود فها هو باب الارتداد يفتح على مصراعيه فيقول الكاتب "**وعلى أرق الليلة الماضية لمشقة غلق باب الارتداد إلى العدو من الجنود ومن الضباط أنفسهم، تسلم مولاي بوزقزة مساءً برقية محمولة أبلغته نزول النقيب حطابي الطويل بسلاحه ملتجئا إلى فصيلة الجندرمة في باليسترو. إنه يزفر. يسترجع وجه رفيقه في السلاح .... وخارج الكازمة، ليشهق حسرته خلف جذع شجرة بلّوط، نشج"ما الذي جرى؟ كنتَ متعلما شجاعا ذكيا، من عائلة ميسورة. كان يكفيك دفع الاشتراك وتأدية الزكاة لتبقى تسيّر تجارة والدك. آه، من هذه الحرب يا رفيق! يا لهذا القدر**".[2]إنه بهذا يرسم لنا صورة عن جيش التحرير الوطني وكأنه عصابة مسلحة تقتل كل من لا يقدم لها الدعم المالي، إنها إهانة لا تقبل في حق جيش قدم خيرة أبناءه وإن كنا لا ولن نغض الطرف عن الأخطاء الفردية أو الجماعية لكن لا نستهين بذلك الجيش العظيم إلى حد جعله أشبه ما يكون بعصابة من المافيا.

ولهذا فلا تستغرب عندما تقرا له وهو يروي كيف كان جنود جيش التحرير الوطني يعذبون إخوانهم إذا شكوا فيهم ،وإذا عرفت بعض الأسباب التي تجعلهم يشكون فمرارة الحسرة لن تفارق حنجرتك وفي هذا المجال يقول الكاتب: "**روى مولود لمولاي بوزقزة مبحوح الصوت أن محفوظ مساعد قائد الولاية كان في حصص التعذيب بحبل دوّار على عجلة معدنية ، من تلك المستعملة لإخراج الماء من الآبار مشدودة إلى فرع شجرة صنوبر وسط الغابة ، يأمر بتعليق المشتبه به من أولئك الطلبة الملتحقين ومن غيرهم من الجنود البسطاء ومن ذوي الرتب أنفسهم ، عاريا إلا من سترة لعورته ، مربوطا إلى الخلف من معصميه وكاحليه في قبضة واحدة وقد وضع حجر ثقل فوق عموده الفقري وبنبرة كبسها أسى رمادي ، أضاف مولود أن كمال ، الطالب الملتحق من جامعة**

[1] الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 127-128

[2]المرجع السابق، ص 133

الجزائر ، لم يردد حال الاستنطاق سوى عبارة " صعدت لأشارك في تحرير بلدي "، إلى أن تحولت على لسانه ما يشبه الهذيان" بلدي.. بلدي". فأعطى محفوظ أمره بأن يعلق. ثم أشار إلى الجندي، الذي يمسك بالطرف الآخر من للحبل ببدء رفع الجسم المعلق مثل دلو إلى حوالي متر ونصف، على وقع صرصرة العجلة. وبعد تثبيت لتوان راح ينزله ببطء إلى أن غدا البطن يكاد يلامس جمر حطب البلوط المستعر في الكانون المهيأ. " [1]هل كان جيش التحرير الوطني بكفاءاته وقدراته سخيفا لدرجة أن يعذب شخص بتهمة الخيانة لأنه كان يوما ما شخصا متعلما؟ ألم يكن في صفوف هذا الجيش من يقول إنه بإمكاننا الاستفادة من هؤلاء؟ إنه مقطع يبعث في نفسك كثيرا من الأسئلة التي لن تجد لها أجوبة إلا ابتلاع حسرة أبت أن تنزل إلى الجوف.

ويواصل الكاتب في منهجيته ليصل إلى رئيس الدولة فيقول على لسان أحد شخصياته" **الفساد بدأ يوم حوّل شخص واحد في 1964 ما كان في حساب جبهة التحرير البنكي بكامله في سويسرا إلى جيبه، والبلد منهك القدرات موزع بين تضميد جراحه من حرب تحرير وأخرى أهلية وثالثة على الحدود الغربية وبين مواجهة الفوضى والخراب ومخاطر التمزق.** "[2]والمتأمل في الرواية يدرك أن الكاتب تدرج في وصف العفن الحاصل من أصغر جندي يشوي زميله بتهمة الخيانة إلى رئيس يسرق كل هذا المبلغ المالي، والسؤال هل هذا الوصف الدقيق لهذا العفن يجدي نفعا؟ فها هو اللصوص قديما كما هم حديثا لا يرعوون ولا يرتدعون فلم تسويد القلم بمخازيهم ونشرها على الملأ؟ أليست هاته مخاطرة غير محسوبة العواقب؟ ولو كان فيها نفع لكانت مستساغة شمعة تضيء الطريق للآخرين لكنها في الحقيقة شمعة تحرق نفسها وحسب.

الألفاظ السيئة

إن الكاتب وقع في خطأ فاحش وغلط عظيم حين سطر في روايته هاته عبارات لا تليق بكاتب، ولو كانت قليلة ونادرة لاعتذرنا له على أنها حكاية لكن لن تقلب عشر صفحات أو أقل حتى تقع

[1]الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 89-90-91

[2]المرجع السابق، ص 39

عينك على ما لا ينبغي من كلمة أو عبارة، فيا ليث شعري لو أن الكاتب حذفها كلها هل سينقص هذا من روايته شيئا؟ لا بل سيزيدها جمالا حيث استطاع وصف واقع مرير بكلمات أقرب إلى اللين منها إلى الوحشية، مع التذكير أن هاته الألفاظ لتجاوزت الأربعين موضعا كلها ألفاظ نابية جنسية فاضحة بكل المقاييس والتقديرات.

خاتمة

خاتمة

إلى هنا بلغ القول التمام، وحسن قطع القول بالختام، فبعد هذا التطواف بين صفحات هاته الرواية خاصة، والمذكرة عموما. استخلصنا جملة من النتائج، تنذر بطي صفحة هذا العمل المتواضع، وتنبئ باكتماله، وقد تمثلت هاته النتائج فيما يلي:

- ❖ تعدّ الرواية من أهم الأجناس الأدبية التي عرفها الإنسان، وحاول التعبير بها عما يجول في خاطره.
- ❖ اختلف الأدباء والنقاد هل الرواية جنس أدبي ظهر عند الغرب ثم اسفاد منه العرب أو ان بوادره كانت موجودة لكنها لم تتبين إلا في وقت متأخر.
- ❖ أن الرواية في بلادنا الحبيبة عرفت تأخرا في الظهور بعد نظيرتها العربية.
- ❖ أن الرواية الجزائرية كتبت في أول نشأتها باللغة الفرنسية لأسباب عديدة ثم ظهر لنا كتاب وأدباء كتبوا بلغتنا العربية.
- ❖ مصطلح الشخصية له عدة تعاريف مختلفة الألفاظ متفقة المعنى.
- ❖ الرواية لا تخلو من شخصيات يحرك بهما الكتاب أحداثه في إطار زماني ليوصل لنا ما يريد إيصاله من أفكار أو قناعات فهي بهذا عنصر فعال لا يمكن الاستغناء عنه.
- ❖ تختلف معايير تقسيم الشخصيات فالبعض يقسمها إلى رئيسية وثانوية والبعض الآخر إلى نامية ومسطحة.
- ❖ الشخصيات الرئيسية لها دور كبير في سير الأحداث، وهذا لا ينقص من دور الشخصيات الثانوية، بل هي تضيء شيئا من العتمة التي أغفلته الشخصيات الرئيسية.
- ❖ تعدّ أبعاد الشخصية مقومات تُدرس بها وهي أربعة أبعاد:

1) البعد النفسي وهو الجانب السيكولوجي للشخصية، أي حالتها النفسية من حزن وفرح، ونحو ذلك.
2) البعد الاجتماعي: فبه تظهر مدى ترابط أو تنافر الشخصية المراد دراستها مع باقي الشخصيات، ومدى تأثرها بها أو تأثيرها عليها.

3) البعد الفيسيولوجي أو الجسماني فيه تحدد البنية الجسمانية للشخصية، ومدى انعكاس هذا على الشخصية

4) البعد الفكري حيث يتطرق الكاتب إلى الآراء التي تتبناها الشخصية، وكيف دافعت عنها.

❖ الشخصية عنصر لا يستغني عنه الكاتب في الرواية، بل هو أساسها الذي يبني عليه أحداثها فلا تعدّ الرواية رواية إذا خلت من عنصر الشخصية.

❖ لا يختلف اثنان أن رواية كولونيل الزبربر تعدّ رواية رائعة بكل المقاييس مشحونة بكم هائل من الأحداث والشخصيات والآراء وأنّ دراستها أو قراءتها تكسو القارئ شيئا من السعادة التي لا توصف.

❖ احتوت رواية كولونيل الزبربر للحبيب السائح على ألفاظ لا تليق يا ليث الكاتب تجاوزها وآراء قد لا يوافق عليها.

❖ وصف الحبيب السائح في روايته شخصيات عديدة منها شخصيات رئيسية، وهم كل من: الطاوس وكولونيل الزبربر ومولاي الحضري، وأخرى ثانوية، ومنهم: باية وياسين وحكيم والعمة ملوكة ورقية والسي المهاجي.

❖ الحبيب السائح في هاته الرواية تناول كل شخصية ومن جميع الأبعاد.

❖ الشخصيات التي حوتهم هذه الرواية، ولم يتم بحثهم من قريب ولا بعيد أكثر بكثير مما ذكر كالأستاذة فهيمة ونعيم رزاز وزغدان.

❖ احتوت الرواية على مشاهد عنف كثيرة من تعذيب واغتصاب وقتل وتشريد وتجويع ونهب وسلب.

❖ برع الكاتب في وصف الأحداث وصفا قد يحملك وكأنك بين تلك الشخصيات تشاهد ما ترى بأم عينيك لا بمخيلة رأسك.

❖ يحسب للكاتب أنه سرد أحداثا تاريخية في حين أن الرواية ليست كذلك.

فهذه أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال سيرنا بين أسطر الرواية والمذكرة أما عن أهم التوصيات فهي كالآتي:

خاتمة

- ❖ احتوت الرواية على بعض الآراء السياسية الجريئة وقدرا من النقد، قد نستطيع القول إنه لم يسبق إليه فلو أفرد بالبحث والتنقيب والكشف والتحقيق لكان هذا عنوان مذكرة تستحق القراءة أو الإشراف
- ❖ الرواية مليئة بشخصيات متعددة فلو كانت عنوان بحث لمذكرة لكان هذا جيدا

فهارس

فهرس المصادر والمراجع

I. المصادر:

1)الحبيب السائح: كولونيل زبربر، دار الساقي بيروت لبنان ط 01 سنة 2015 م

2)القرآن الكريم رواية ورش عن نافع

II. المراجع

1) إبراهيم سعدي: وطار والأعرج ومستغانمي وخلاص ومفتي وصالح والجلاوزي، الرواية الجزائرية في السبعينيات: العنف والعاطفة، مجلة الحياة، السعودية، العدد 14321، 5 جوان 2002

2) إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر

3) إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، دار محمد علي الحامي للنشر . صفاقص، تونس د ط 1988 م

4) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، إسطنبول تركيا، دط دت

5) أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3 سنة – 1414 هـ

6) أحمد فريحات، أصوات ثقافية في المغرب العربي، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط 1، 1984م

7) إليزابيت بوين، الشخصية في صناعة الرواية، الآداب بيروت، سنة 1997 م

8) آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الامل والنشر والتوزيع، د ط، د ت.

9) أنريكي أندريسون، القصة القصيرة (النظرية والتقنية)، ترجمة: علي إبراهيم علي منوفي، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – 2000 م

فهارس

10) باسم عبد الحميد حمودي الأقلام، مدخل إلى الشخصية الثانوية في الرواية العراقية، 1988م

11) براهيم السعافين، تطور الرواية العربية في بلاد الشام، دار المناهل، بيروت 1987

12) بن جمعة بو شوشة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ط 1، 2005

13) بن جمعة بوشوشة، الرواية العربية الجزائرية، أسئلة الكتابة والصيرورة، دار سحر النشر، ط1، 1988م

14) تيز فطان تودوروف،" مفاهيم سردية " ترجمة عبد الرحمان مزيان، ط 1، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي البلدي 2000 -2005 م

15) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب

16) حسن سالم هانري إسماعيل الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث: دراسة في البنية السردية

17) حسين خمري: فضاء المتخيل – مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، ط1، 2002 م

18) حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط1 ،1991م

19) د أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية

20) د محمد سيد عبد التواب، بواكير الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 سنة 2017م

21) روجرب هينكل، قراءة الرواية، ترجمة صلاح رزق، دار غريب، القاهرة، ط 1، سنة 2005م

22) رولان بورنوف وريال أوئيليه، عالم الرواية، ترجمة نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1 سنة 1991 م
23) سامية حسن السعاتي، الثقافة والشخصية بحث في علم الاجتماع الثقافي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ط 2 سنة 1983 م
24) شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، سنة 2009م
25) شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية الجديدة، دراسة نصية في آليات السرد وقراءات نصية، عمان مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط 1 ،2014 م
26) شنفوقة علال المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية في السلطة السياسي، منشورات الاختلاف.
27) الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس
28) صالح صلاح، السرديات العربية المعاصرة، المجلس الأعلى، القاهرة، ط 1
29) عائشة بنت سعيد بن سالم البادي، بعض سمات الشخصية وعلاقتها بفاعلية الذات لدى الأخصائيين الاجتماعيين، جامعة نزوى، كلية العلوم والآداب قسم التربية والدراسات الإنسانية، سنة 2014 م
30) عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية السردية في رواية ثرثرة فوق النيل مجلة كلية الآداب العدد 102 قسم اللغة العربية جامعة صلاح الدين أربيل العراق
31) عبد الرحمن حمدان، بناء الشخصية الرئيسية في رواية عمر يظهر في القدس للروائي نجيب الكيلاني، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، 2011 م
32) عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي دار الفكر، عمان الأردن، ط 3 سنة 2000 م
33) عبد الكريم الجبوري، الإبداع في الكتابة والرواية، دار الطليعة الجديدة دمشق، ط 1 سنة 2003 م

34) عبد الله، تقنيات الدراسة في الرواية العلاقات الإنسانية، دار الكتاب العربي د ط 2001 م
35) عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، سنة 1990 م
36) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط سنة 1998 م
37) عبد المنعم الميلادي، الشخصية وسماتها مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية د/ط 2006 م
38) عبد الناصر مباركية، دراسات تطبيقية في الإبداع الروائي، دار النشر جيطلي، برج بوعريريج سنة 2011 م
39) عبد النور جبور، المعجم الأدبي دار العلم، لبنان، ط 1 سنة 1979م
40) عبد الوهاب الرقيق، في السرد دراسة تطبيقية، دار الحامي، تونس
41) عز الدين جلاوجي" بنية النص المسرحي في الأدب الجزائري" – دراسة نقدية – الجزائر سنة 2007 م
42) عزت العداوي بناء الشخصية في رواية "الحواف " أحمد شعث، مجلة جامعة الخليلي للبحوث 2010 م
43) عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث – تاريخيا وأنواعا وقضيا وإعلام– ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون– الجزائر، د ط، 1995 م
44) غالب حمزة أبو الفرج في قصص وروايات "الأدب الهادف" غريد الشيخ
45) غسان كفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي: صبيحة عودة زعرب، عمان، دار مجد الاوي، ط1 ،2006 م
46) فاطمة نصير، المثقفون والصراع الإيديولجي في رواية أصابعنا التي تحترق لسهيل إدريس، مذكرة الماجستير مخطوط تخصص نقد أدبي جامعة محمد خيضر بسكرة 2007-2008م

47) فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، الجمهورية التونسية

48) فريال سماح، رسم الشخصيات في روايات ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة 1999 م

49) فوزية لعيوس غازي الجابري " التحليل البنيوي للرواية العربية" عمان، ط1، 2011 م

50) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر سعيد بكران، دار الكلام، الرباط دط، سنة 1990 م

51) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط 8، سنة 1426 هـ - 2005 م

52) محمد التوتجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط 1 بيروت سنة 1993 م

53) محمد بوعزة، تحليل النص السردي زنقة المامونية الرباط مقابل وزارة العدل، ط 1 سنة 2010م

54) محمد على سلامة، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، المجلس الأعلى للثقافة، سنة 2011 م

55) محمد علي سلامة الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، دار الوفاء الإسكندرية مصر ط 1 سنة 2007 م

56) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث دار العودة بيروت لبنان ط 1 سنة 1982 م

57) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، دار العودة، بيروت،1973م

58) محمد يوسف نجم " فن القصة "، دار الثقافة بيروت لبنان ط 4 سنة 1963 م

59) محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، سنة 1996 م

60) مخلوف عامر أثر الإرهاب في الكتابة الروائية، مجلة عالم الفكر، ج 22 العدد 01

61) مفقودة صالح، نشأة الرواية العربية في الجزائر التأسيس والتأصيل، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري

62) نبهان حسون السعدون، الشخصية المحورية في رواية عمارة يعقوبيان لعلاء الأسوداني، دراسة تحليلية، جامعة الموصل/ مجلة أبحاث التربية الأساسية ج 13 العدد 1 سنة 2014 م

63) هنري جيمس وجوزيف كوتراد وآخرون، نظرية الرواية في الأدب الإنجليزي الحديث، ترجمة أنجيل سمعان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 1 سنة 1994 م

64) واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989 م

65) يمنى العيد، دلالات النمط السردي في الخطاب الروائي تحليل رواية غاندي الصغير لإلياس النحوي ملتقى السمياء والنص الأدبي، الجزائر 1995 م

فهارس

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	ح
مدخل	س
الفصل الأول: معالم الشخصية النظرية والمنهج	
تعريف الشخصية	26
1) لغة	26
2) اصطلاحا	28
أنواع الشخصية	30
1) الشخصية الرئيسية	31
2) الشخصية الثانوية	34
أبعاد الشخصية	36
1) البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي	36
2) البعد الفكري	37
3) البعد الاجتماعي	38
4) البعد النفسي	39
أهمية الشخصية	39
الفصل الثاني: معالم الشخصية في رواية الكولونيل زبربر	
أ الشخصيات الرئيسية وأبعادها	50
1) شخصية الطاوس	50
البعد الاجتماعي	50
البعد النفسي	52
البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي	55
البعد الفكري	56

فهارس

2) شخصية الكولونيل زبربر	57
البعد الاجتماعي	57
البعد النفسي	59
البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي	60
البعد الفكري	61
3) شخصية مولاي الحضري	63
البعد الاجتماعي	63
البعد النفسي	67
البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي	70
البعد الفكري	71
ب الشخصيات الثانوية وأبعادها	78
1) شخصية باية	78
البعد الاجتماعي	78
البعد النفسي	79
البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي	79
البعد الفكري	79
2) شخصية ياسين	80
البعد الاجتماعي	80
البعد النفسي	81
البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي	84
البعد الفكري	84
3) شخصية حكيم	85
البعد الاجتماعي	85
البعد النفسي	86
البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي	86

فهارس

البعد الفكري	86
4) شخصية العمة ملوكة	87
البعد الاجتماعي	87
البعد النفسي	87
البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي	89
البعد الفكري	89
5) شخصية رقية	90
البعد الاجتماعي	90
البعد النفسي	90
البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي	90
البعد الفكري	90
6) شخصية سي المهاجي	91
البعد الاجتماعي	91
البعد النفسي	92
البعد الفيسيولوجي المادي أو العضوي	93
البعد الفكري	93
الملاحق	
ترجمة موجزة للكاتب	96
ملخص لرواية كولونيل الزبربر	98
ملاحظات على بعض الأفكار الواردة في الرواية وبعض الصيغ	103
الخاتمة	111
الفهارس	
فهرس المصادر والمراجع	115
فهرس الموضوعات	121